موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(١٣)

التعاون

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-١٩٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٣)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-١٩٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ١٣)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
التعاون لغةً	٩
التعاون اصطلاحًا	١٠
التعاون وأثره في المجتمعات	١١
صور التعاون ومجالاته عند العرب	١٧
أمثلة من التكافل	٤١
التعاون الاجتماعي	٤٦
الضمان التعاوني	٦٤
التعاون في العصر الحديث	٦٩
الأنماط الحديثة للأمن الاجتماعي	٧٩
أهداف التأمينات الاجتماعية	٨١
الفرق بين الضمان الاجتماعي والتعاون الاجتماعي	٨٤
الفهارس	٩١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

توطئة:

للفرد الإنساني حاجات مادية ومعنوية ليس بوسعه تحقيقها بمفرده ؛ ومن ثـــمّ يكون في حاجة ملحّة للالتقاء بطائفة من الناس والاندماج فيها لإشباع تلك الحاجات، وبذلك تتحقق سعادته التي تقوم على التعاون الماديّ والروحي.

ومن مطالب الفرد التي لا تتحقق إلا عن طريق الجماعة، حاجته النفســـية إلى المحبّة، وحاجته النفسية إلى التقدير، وحاجته إلى المعونة والمساعدة في معظم شؤون الحياة، ومنها حاجات مادية أخرى للفرد لا تتم إلا مع غيره. كل هذه الأمور تولد في الفرد الميل إلى الجماعة والرغبة في تعاونها. وهذه الحاجات التي يريد من الجماعة أن تقدمها لـــه، لا يظفر بها ولا يستطيع المحافظة عليها ما لم يقدم هو من نفسه للجماعة أثمانها.

وإن ثمن معاونة الآخرين له تتمثل في معاونته لهم، وثمن مساعدتهم له مساعدته لهم، وهكذا سائر حاجات الفرد التي لا تتم إلا عن طريق الجماعة[1].

ولو نظرنا في حياتنا اليومية إلى أبسط السلع التي نستعملها كل يوم لوجدناهـــا أنتجت عن طريق تعاون عدد كبير من الأفراد والجماعات والهيئات فرغيـــف الخـــبز الذي نأكله مَرَّ بين أيدٍ كثيرة لأفراد مختلفين، تعاونوا حتى وصل إلينا، فـــالزارع نـــثر البذور وتعهدها حتى حصادها، والمطحنة ومالكها وعمالها، والمخبز ومالكه وعمالـــه، والفئات المختلفة من الوسطاء الذين تعاونوا على نقل ملكية الرغيف في مراحله المختلفة، كل هؤلاء تعاونوا فيما بينهم وأدّى كل منهم عمله حتى وصل هذا الرغيف إلينا.

والتعاون نوع من السلوك الإنساني قديم قدم البشرية. ولولا هذا التعاون مـــا تقدمت وما وصلت إلى ما هي عليه الآن من تقدّم حضاري، بل لا يمكن أن نتصـــور

---

[1] انظر: ابن خلدون، ولي الدين أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد: مقدمة ابن خلدون، دار الشـــعب، القاهرة، ص٣٥.

www.mtenback.com

حياة بغير تعاون. وليست أهمية العمل الجماعي خاصة بالإنسان بل إن من مخلوقات الله ماهو أكثر تعاونًا وأشد انضباطًا.

ومن أبرز ما يشاهده الإنسان أمام عينيه من معاني التعاون حال النحل في مجتمعاته التي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها أو في اقتسام العمل المنظم بينها، أو في طريقة إفرازها العسل المصفّى الذي فيه شفاء للناس[٢]. وهي تتخذ من الجبال والشجر بيوتًا لها وتأكل من الأزهار ما يلذ لها بوحي وإلهام من الله. ومن العجائب التي ذكرت في هذا الحيوان الضعيف أن لو اجتمع مهندسو العالم لحارت أفكارهم في بناء تلك البيوت الهندسية بتلك الدقة العجيبة، وإنها لتشير إلى مدى التعاون والتكاتف اللذين كان هذا الحيوان الضعيف يعيشهما. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[٣].

ولو تأملنا في النظام الاجتماعي لحشرة النّمل لرأينا كائنًا عظيم الحيلة في طلب الرزق، فإذا وجد شيئًا أنذر رفاقه لتأتي إليه، ويقال: إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها، ومن طبع النمل أن يدّخر من قوته في الصيف للشتاء، وله في ادّخار طعامه وغذائه من الحيل أنه إذا ادّخر ما يخاف عليه أن ينبت قسمه إلى نصفين، ما خلا الكبيرة فإنه يقسمها أرباعًا، لما ألهم من أن كل نصف منها يصلح أن ينبت.

ومن عجائبه اتخاذ القرى تحت الأرض وفيها المنازل والدهاليز والغرف والمنعطفات وهي في شكل طبقات يملأ كل ذلك حبوبًا وذخائر للشتاء.

---

[٢] انظر: قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت ط٢٣، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، م٤، ص٢١٨١.

[٣] سورة النحل: الآية ٦٨-٦٩.

www.mtenback.com

هذه أمثلة نشاهدها في الحيوان الأعجم تبين حاجته للتعاون وإبداعه بتعاونه لأعمال تعود بالنفع إلى جماعته وتقيه حوادث الدهر وتعينه على الحياة.

أما الإنسان فقد وهبه الله عقلاً وقدرة على التفكير أدرك بها قيمة التعاون وولدت فيه شعوراً بأنه جزء من الجماعة وليس فرداً منعزلاً عنهم - إلا في حدود مصالحه ومسؤولياته الشخصيّة. فهو بهذا الشعور النبيل يجد نفسه مدفوعًا إلى مشاركتهم في عواطفهم مشاركة وجدانية ومشاركة مادية فيفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم ويتألم عندما يتألمون، وينشرح صدره إذا وجدهم منشرحين، ويساهم معهم في الأعمال العامة ويعين منهم ذا الحاجة بجسمه، أو جاهه أو ماله أو شفاعته في الحق، أو عواطفه ومشاعره وتعبيراتها.

ومتى كان هذا المعنى متبادلاً بين أفراد الجماعة استطاعت أن تمثل في واقعها معنى الجسدية الواحد للجماعة. ومتى شاع هذا المعنى في المجتمع زكيَّ الأنفس وطهرها من رذائل الأنانية المقيتة والأثرة القبيحة والشح الذميم.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

التعاون لغة:

العون: الظهير على الأمر، الواحد والاثنان والجمع والمؤنث فيه سواء. ويأتي الجمع منه على صيغة جموع القلة (أعوان)، قال الشاعر[٤]:

وَمَا المَرْءُ إلاَّ بأَعْوانِه ... كَمَا تَقْبَضُ الكَفُّ بالمِعْصَمِ

ولا خَيْرَ في الكَفِّ مَقْطُوعَةً ... وَلاَ خَيْرَ في السَّاعِدِ الأَجْذَمِ

والعرب تقول إذا جاءت السَّنَةُ جاء معها أعوانها، يعنون بالسنة الجدب، وبالأعوان: الجراد والذئاب والأمراض. وتقول أعنته إعانة واستعنته، واستعنت به فأعانن [٥]. وتعاونوا واعتونوا: أعان بعضهم بعضًا. قال ذو الرمة[٦]:

فَكَيفَ لَنَا بالشُّرْبِ، إنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا ... دَوَانِيقُ عِندَ الحَانَوِيِّ، ولا نَقْدُ؟

أَنَعْتَانُ أَمْ نَدَّانُ، أَمْ يَنْبَري لَنَا ... فَتىً مثلُ نَصْلِ السَّيفِ، شِيْمَتُهُ الحَمْدُ؟

والمعونة الإعانة، ورجل معوان كثير المعونة للناس والعوان من الحيوان: السنّ بين السِّنَيْنِ، لا صغير ولا كبير. قال تعالى: ﴿لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾[٧] أي بين المسنة والشابة.

والعوان من النساء: التي قد كان لها زوج [٨] والجمع: عُوْن، قال الشاعر[٩]:

نَوَاعِمُ بَيْنَ أَبْكَارٍ وَعُونٍ ... طِوالُ مِشَكِّ أَعْقَادِ الهَوَادِي

---

[٤] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (عون).

[٥] انظر: المرجع السابق نفسه.

[٦] ذو الرمة: ديوانه، حققه وقدم له وعلق عليه: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٢، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص١٨٦٢.

[٧] سورة البقرة: الآية ٦٨.

[٨] ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصص، دار الآفاق الجديدة، بيروت (د.ت)، مادة (عون).

[٩] ابن منظور: لسان العرب، ٢٩٩/١٣.

www.mtenback.com

وفي المثل: «لا تُعلِّم العوانُ الخِمْرةَ» أي أن المجرب عارف بأمره كما أن المرأة التي تزوجت تحسن القناع بالخمار.

والحرب العوان: المترددة: أي التي قوتل بها مرة بعد أخرى.

فالتعاون مشتق من الأصل الثلاثي (ع و ن) وفيه الدلالة على حدوث الفعل من طرفين. أي: التشريك بين اثنين فأكثر في الفعل بحيث يكون كل منهما فاعلاً في اللفظ مفعولاً في المعنى. مثل: تعاونَ الخبيران في تبادل المعلومات.

التعاون اصطلاحًا:

والإعانة بجانب دلالتها على المساعدة التي يقوم بها طرف واحد للطرف الآخر، اكتسبت معنى جديدًا عبر تطورها، الدلالي. فالإعانة في علم الاقتصاد: منحه مالية تمنحها الدولة بعض المنشآت الصناعية أو الزراعية حماية لها من المنافسة الأجنبية[١٠].

وقد تكون هذه الإعانة من دولة غنية إلى دولة أخرى فقيرة أو أقل من الدولة المعنية في الغنى.

أما التعاون فقد اكتسب عبر تطوره الدلالي معنى منسجمًا مع معناه الأصلي ومغزاه، فصار التعاون في علم الاقتصاد مذهبًا اقتصاديًا اجتماعيًا لإدارة الأعمال الاقتصادية يستهدف تنظيم جهود الفرد لصالح المجتمع، وجهود المجتمع لصالح الفرد في شتى صور النشاط الاقتصادي سواء أكان زراعيًا أم صناعيًا، أم تجاريًا، أو غير ذلك من صور هذا النشاط ومظاهره ؛ للوصول بالمجتمع إلى أعلى مستوى ممكن من الرفاهية والنعيم.

ومظهر التعاون بهذا المعنى تكوين جمعيات للقيام بعمل مشترك لمصلحة الأعضاء والاستغناء عن الوسيط مثل الجمعيات التعاونية بشتى أنواعها التي انتشرت في بلدان العالم.

---

[١٠] مجمع اللغة العربية، القاهرة: المعجم الوسيط، دار الدعوة إستانبول، ط٢، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج٢، ص ٦٣٨.

www.mtenback.com

والجمعيات التعاونية ما هي إلاّ مؤسسات اقتصادية واجتماعية يؤلفها الأفـــراد فيما بينهم هادفين من تكوينها إلى خدمة مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية بتحقيـــق غرض اقتصادي مشترك عن طريق مشروع يديرونه متعاونين، ويجمعون له رأس المـــال اللازم فيما بينهم وهم يتحملون نتائج هذا العمل سواء أكان ذلك ربحًا أم خسارةً[١١].

التعاون وأثره في المجتمعات:

إن جلائل الأعمال الكبرى لا تتحقق إلا عن طريق العمل الجمـــاعي المنتظـــم المتعاون، بخلاف العمل الفردي فإنه لا يثمر – في الغالب – إلاّ أعمالاً تتناســـب مـــع مستوى طاقات الأفراد شدة وضعفًا، والنزعة الانفرادية تنمو معها الرغبـــة القبيحـــة بتهديم أعمال الآخرين حرصًا على الانفراد بمجد التقدير بين الناس. ومع هذه الرغبـــة القبيحة تتبدد الأعمال الفردية نفسها، أو تضيع ثمراتها، فتحرم الإنســـــانية بســـبب الانفرادية ثمرات الأعمال الجماعية، وكثيرًا من ثمرات الأعمال الفردية.

إن الارتباط بالجماعة والتعاون معها يضاعف مقادير القوة ؛ لأن القوة المجتمعـــة تصمد أمام القوى الأخرى المعادية، بخلاف القوى الانفرادية المتناثرة ؛ فإن أيـــة قـــوة معادية مجتمعة تستطيع الظفر بها والتغلب عليها ثم التحكم بمقاديرها. وإن كل قســـم من القوى الانفرادية لو اجتمع لاستطاع صدّ القوة المعادية والتغلب عليها.

وفي هذا المعنى يقول الشاعر مسكين الدارمي[١٢]:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَـــنْ لاَ أَخَـــا لَـــهُ ... كَسَاعٍ إلى الهَيْجَـــا بِغَـــيْرِ سِـــلاَحِ

وَإِنَّ ابْنَ عَمِّ المَرْءِ فَـــاعْلَمْ جَنَاحُـــهُ ... وَهَلْ يَنهضُ البَـــازِي بِغَـــيْرِ جَنَـــاحِ

وَمَا طَـــالِبُ الحَاجَـــاتِ إِلاَّ مُعَذَّبًـــا ... وَمَا نَالَ شَـــيْئًا طَـــالِبٌ كَنَجَـــاحِ

---

[١١] المنيزع، عبدالحميد نصر: التعاون، دار المطبوعات الجديدة، مصر، ط١، (١٩٧٧م)، ص٩.

[١٢] انظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص٣٠٥.

www.mtenback.com

لَحَا اللهُ مَن بَـــاعَ الصَّدِيْـقَ بِغَـيْرِهْ وَمَـا كُـلُّ بَيْـعٍ بِعْتَـهُ بِرَبَـــاحِ
كَمُفْسِـدِ أَدْنَـاهُ وَمُصْلِـحِ غَـيْرِهِ وَلَمْ يَـأْتَمِرْ فِي ذَاكَ غَـيْرُ صَـلَاحِ

فالأبيات السابقة تحث على التعاون وملازمة الأخ لأخيه، وقد صاغ الشـــاعر فكرته بأسلوب إغرائي بدعوة المخاطب إلى أمر محبوب ليفعله، ويلزمه مبينًا فوائد مـــا يدعو إليه.

ومن أحسن ما يروى من الأخبار عن العرب وفي معنى التعاون وقيمته ما ذكر من أنه لما تقدمت السن بالمهلب بن أبي صفرة استدعى أبناءه السبعة ؛ فأوصاهم وبذل لهم النصح الذي ينفعهم في دنياهم وأخراهم، ثم أمرهم أن يحضروا رماحهم مجتمعـــة، وطلب منهم أن يكسروها الواحد تلو الأخر مبتدئًا بأصغرهم، فلم يقدروا على ذلـــك. فقال لهم: فرّقوا هذه الرماح، وليأخذ كل واحد منكم رمحه فيكسره، فاستطاع كـــل واحد منهم أن يكسر رمحه دون عناء. فعند ذلك قال لهم: اعلموا أن مثلكم مثل هـــذه الرماح، فما دمتم مجتمعين ومؤتلفين يعضد بعضكم بعضًا، لن تنال منكم أعداؤكـــم غرضًا، أما إذا اختلفتم وتفرقتم فإنه يضعف أمركم وتتمكن منكم أعداؤكم ويصيبكـــم ما أصاب الرماح. وأنشد يقول[١٣]:

كُونُوا جَمِيعًـــا يَـــابَنِيَّ إِذَا اعْـــتَرَى خَطْـــبٌ وَلَا تَتَفَرَّقُـــوا أَفْـــرَادًا
تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْـــنَ تَكَسُّـــرًا وَإِذَا افْـــتَرَقْنَ تَكَسَّـــرتْ آحَـــادَا

هذه القصة تمثل نموذجًا حيًا للتعاضد ودعوة صريحة مؤيدة بمثل واقعي مادي لأثر التعاون في حياة الناس، وهي خلاصة تجارب رجل حكيم صاغها في أسلوب شائق.

فالأب عندما بدأ بالصغير في محاولة كسر الرماح مجتمعة لم يكن ذلك اعتباطًا أو مصادفة، وإنما كان ذلك لمغزى؛ لأن الكبير الذي يلي الصغير يظن أن الصغير عجـــز

[١٣] أحمد الهاشمي: المفرد العلم في رسم القلم، مكتبة نزار، مكة المكرمة، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٩٧م)، ص٧٩.

www.mtenback.com

لضعف فيه أو في قدرته، وأنه يمكن أن يكسرها رغم عجز الصغير عن ذلك، ولكنه يفاجأ بالعجز عن تحقيق ذلك؛ مما جعله يثوب إلى رشده ويفكر في اجتماع الرماح وقوتها في حال اتحادها، الأمر الذي جعل الأولاد يستوعبون مغزى الوصية وأسلوب الأب الذي استطاع أن يوصل تلك الرسالة إلى أبنائه دون أن يطيل عليهم الوعظ والإرشاد، وهو أسلوب تربوي اتخذ وسيلة الإيضاح المصاحب للشرح.

ومن فوائد التعاون رفع الظلم. والظلم يعرفه اللغويون بأنه: وضع الشيء في غير موضعه[١٤]. وجاء في أمثال العرب قولهم: «من استرعى الذئب ظَلَم»[١٥] وهذا ظاهر في وضع الشيء في غير موضعه، إذ موضع الذئب البعد عن قطعان الغنم، لا جعله راعيًا عليها والمجالات التي يدخل فيها الظلم كثيرة وواسعة. فنظرة الهوان والازدراء والدونية عند العربي ظلم يجب التصدي له في عرفهم، يقول الشاعر عمر بن شأس الأسدي[١٦]:

أَرَادَتْ عِرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ عِرَارًا لَعَمْرِي بِالْهَوانِ فَقَدْ ظَلَمْ

ومعاونة الناس بالانتصار لهم ورد الظلم عنهم شيمة تأصلت في نفس العربي لإبائه الضيم والبغي والعدوان على حرماته.

تذكر الأخبار أن ابن الحصين أتى باب معاوية بن أبي سفيان وقال للحاجب: استأذن لي على أمير المؤمنين وقل: ابن مانع الضيم.فاستأذن له فقال: ويحك لا يكون

---

[١٤] الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة بيروت، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ط١، ص١٤٦٤، مادة (ظلم).

[١٥] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، ج٢، ص٣٠٢.

[١٦] الحموي، محمد بن واصل: تجريد الأغاني، تحقيق: طه حسين، مطبعة مصر، القاهرة، (١٩٥٧م)، ج٣، ص١٢٨٥.

www.mtenback.com

هذا إلاّ ابن عروة بن الورد العبسي[١٧]، أو ابن الحصين بن الحُمام المرّيّ، أدخله. فلما دخل إليه قال له: ابن من أنت؟ فقال: أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحُمام المرّيّ .

في هذا الخبر توكيد على أن الانتصار وردّ الظلم شيمة يفتخر بها العربي، وهو يعتز حين يتصف بها لأن المظلومين يلجأون إليه لحمايتهم وردّ الظلم عنهم، والظالمين يتحاشونه ويتجنبون لقاءه خوف كسر شوكتهم وردعهم، يقول الفرزدق مشيراً إلى هذه المعاني[١٨]:

تَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ وَيَهْرُبُ مِنَّا جَاهِدًا كُلُّ ظَالِمِ

وقال حميد بن ثور الهلالي يمدح قومه[١٩]:

قَومٌ إذا سَمِعُوا الصَّرِيْخَ رَأَيْتَهُمُ مَا بَيْنَ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ

ومن ذلك أن قريشًا عقدت حلفًا تعاونت فيه على ردّ المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم وكان سببه أن رجلاً من اليمن قدم مكة ببضاعة، فاشتراها رجل من بني سهم و لم يعطه الثمن فقام في الحجر قائلاً[٢٠]:

يَالَقُصيٍّ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ والنَّفَرِ

وَأَشْعَثَ مُحْرِمٍ لَمْ يَقْضِ حُرْمَتَهُ بَيْنَ المَقَامِ وَبَيْنَ الرُّكْنِ وَالحَجَرِ

---

[١٧] عروة بن الورد من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها، وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد ويلقب عروة الصعاليك، لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم و لم يكن لهم معاش.

[١٨] الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة: ديوانه، تحقيق: عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة، ص٨٥٧.

[١٩] حميد بن ثور الهلالي: ديوانه، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، ص١١١.

[٢٠] الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٩٢٧م)، ١٦/ ٦٣ -٦٥.

www.mtenback.com

فقام العباس وأبو سفيان حتى ردّا عليه ماله واجتمعت بطون قريش فتحالفوا على ردّ الظلم بمكة، وألا يُظلم رجل بمكة إلاّ منعوه وأخذوا له بحقه، وكان حلفهم في دار ابن جُدعان، وحضره رسول الله ﷺ. وكان يقول: «لقد شهدت حلفًا في دار ابن جدعان ما أحب أن لي به حُمْر النّعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت». وقد عرف هذا الحلف باسم (حلف الفضول)[٢١]. والأحلاف كانت هي النموذج للتعاون في الجاهلية وللردع الذي يحتاجه الناس حتى لا يطمع فيهم طامع ولا ينتهب منهم ضعيف.

ومما قيل في ذم الظلم قول النعمان بن بشير[٢٢]:

بَلْ لَيْتَ شِعْري متى يَفْتَرُّ ذو لَجَبٍ ... جَمُّ الصّواهِلِ مِثْلَ العَارِضِ الغَادِي

حتّى نُبِيْرَ قَبِيْلاً قَدْ طَغَوْا وبَغَوْا ... واللهُ لِلظّالِمِ العَادِيْ بِمِرْصَادِ

بَينَ النُّوَيَّةِ والجَسْرَينِ يَقْدُمُها ... حَمَّالُ أَلْوِيَةٍ طَلاَّعُ أَنْجَادِ

ومن ثمرات التعاون: تنفيس الكرب والمشاركة الوجدانية. روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من نَفّس عن مؤمن كربة من كُرَبِ الدنيا نفّس الله عنه كربة من كُرَبِ يوم القيامة ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[٢٣].

هذا الخلق الاجتماعيّ العظيم الذي يدعو إليه الإسلام يشتمل على عنصر المشاركة الوجدانية وعنصري المساعدة المادية والمعنوية، ويعبر عن حقيقة الأخوة الإيمانية في الواقع التطبيقي ويبرز معاني الوحدة القائمة بين المؤمنين.

---

[٢١] انظر الألوسي، السيد محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار المشرق العربي، بيروت، ج١، ص٢٧٦. وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/١٢٣.

[٢٢] الملوحي، عبد المعين: مجموعة المعاني، دار طلاس، دمشق، ط١، (١٩٨٨م)، ص٣٧٣.

[٢٣] رواه مسلم في كتاب الذكر: صحيح مسلم، م٨، ص ٧١.

www.mtenback.com

ومن التعاون التيسير والتسهيل والمسامحة ويكون التيسير على المعسر على وجوه شتى؛ منها: التيسير على المدين إذا حلّ أجل الدين و لم يجد عنده ما يفي دينه، وذلك بإنظاره أو مسامحته. والله يوصينا فيقول: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢٤].

فأمر الله تعالى بالنظرة إلى الميسرة. والنظرة هي الانتظار ووجّه إلى ما هو خير منها وهو التجاوز والمسامحة وسمى ذلك صدقة لأنه من قبيل الصدقة الخفية.

ومن التيسير على المعسر التيسير في المبايعات، وذلك بالتساهل معه إذا لم يكن لديه ما يفي بثمن السلعة أو بتأجيل بقية ثمنها.

ومن التعاون التيسير على الصانع الذي لم يتمكن من تأدية العمل في الوقت المحدد له، وذلك بالتسامح معه، وبتأجيله إلى وقت آخر، إلا أن يكون كاذبًا مراوغًا.

وتكثر مجالات التعاون التي يعد فيها التيسير على المعسرين خلقًا إنسانيًا وفضلاً يجزى عليه بحسن الجزاء كما جاء في الحديث: «ومن يَسّر على مُعْسِر في الدنيا يَسّر الله عليه في الدّنيا والآخرة».

فالعون خصلة إنسانية محبوبة يقترن بها دائمًا عون من الله.

وجزاء من يكون في عون أخيه واصل إليه تباعًا في الدنيا بالثناء عليه ولكن ثواب الله دائمًا أعظم من عمل الإنسان فالحسنة بعشر أمثالها والثواب الرباني معجّل ومؤجّل.

ومجالات المعونة كثيرة جدًا لا تكاد تحصر، ولكن يشترط في المعونة ألا تكون فيها معاونة على الإثم أو العدوان أو الظلم أو حرمان الآخرين من حقوقهم المادية أو

---

[٢٤] سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

www.mtenback.com

المعنوية أو المدنية، وإعطائها لمن لا يستحقها. وفيما عدا ذلك تستحب المعونة أو تجب على حسب واقع الحال الذي يستدعي المعونة مثل الشفاعة الحسنة والاتصال بالناس وتهذيب الأخلاق والتدريب على كثير من الفضائل والآداب واقتباس الثمرات المفيدة النافعة التي يتوصل إليها الآخرون سواء كانت علمية أو عملية والاجتماع يدفع إلى الحركة ويطلق كثيراً من الطاقات النفسيّة الكامنة، بخلاف الانعزالية والانفراد فإنه يميل بالإنسان إلى التوحش والحذر من كل شيء ويغذي الأنفس بكثير من رذائل الأخلاق. إنّ المصاب بالانفرادية والانعزال لا يصبر على أي عمل يؤذيه أو يخالف هواه ولا يستطيع أن يضغط على نفسه بشيء يخالف ما يريد ولا يحسن معاشرة من التقى بهم من الناس.

ومن ثمرات التعاون حلّ مشكلة ذوي الحاجات من أفراد المجتمع الواحد. لأن بقاء الحاجات من غير حلّ يعرض المجتمع إلى عواقب وخيمة وويلات جسيمة، منها أن يتولد بين أفراده الحقد والحسد والبغضاء والشحناء والميل إلى العدوان والجريمة وعندئذٍ يرتفع الأمن ويحل الخوف محله، ويكون الحصول على متع الحياة ظلمًا وإثمًا، والحصول على ضرورات الحياة سلبًا ونهبًا، وتشيع في المجتمع فوضى الغاب وتنحدر الحضارة إلى مستوى الظفر والناب، وعندئذٍ ينطلق من الشرور العجب العجاب.

ومتى شاع في المجتمع خلق التعاون، وجعله أساسًا من أسسه، لم يكن لهذه الشرور الخطيرة آثار تذكر وتخشى.

صور التعاون ومجالاته عند العرب:

عاش العرب - كما عاش غيرهم - متفاوتي الغنى والفقر، لكن الفقر كان أكثر شمولاً، وأوسع دائرة ؛ لأن بيئتهم غير ذات زرع يمونهم أو صناعة ينشرونها في الآفاق تدرّ عليهم مالاً. فقد كانوا يعيشون في بادية شحيحة الزاد وحياتهم ترحال وتجوال.

www.mtenback.com

ولعلهم أدركوا أهمية العدد وكثرته عند صروف الدهر وتقلبات الظـــروف وعندئـــذٍ هداهم تفكيرهم إلى ما يقوى به الضعيف ويكثر به القليل وينتصر به المهزوم فـــأحدثوا صورًا مختلفة للتعاون منها:

التجمع:

تعدّ القبيلة الوحدة السياسية عند العرب في الجاهلية، ذلك لأن القبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة. ورابطة العصبية هي شعور التماسك والتضامن والاندماج وهي علـــى هذا النحو مصدر القوة السياسية والدفاعية التي تربط بين الأفراد ويكون التعاون بينهـــم على أساس تحقيق التضامن ومن أمثالهم: «أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»[٢٥].

عصبية الدم وهي أساس القرابة في البيت الواحد ومصدر الترابط الوثيق بين أفراد القبيلة كما لو كانوا أسرة واحدة. ثم الانتماء إلى أب بعيد أو جدّ مشترك من نســـله تكونت القبيلة أو القبائل المنتمية إليه[٢٦].

وهذه الوحدة ضرورية للقبائل ؛ لأنها لا تستطيع أن تدافع عن نفســـها إلاّ إذا كانت متعاونة فتشتد شوكتها ويخشى جانبها، كما أنه لا يمكن وقوع العدوان علـــى أحد مع وجود التعاون، فإذا نال الرجل ضيم أو أصابته هلكة دعا قبيلته إلى نصرته وإن سمع هو نداء القبيلة هب حاملاً سلاحه لينصر أخاه، لا يسأله لِمَ؟ فليس من التقـــاليد القبليّة أن تسأل أخاك عما وقع له، بل عليك تلبية ندائه وتقديم العون له معتديًا كـــان أم معتدى عليه. وفي هذا المعنى ورد قول الشاعر قريط بن أنيف[٢٧]:

قومُ إذا الشّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْـــهِ لَهُـــم ... طَـــارُوا إِلَيْـــهِ زُرَافَـــاتٍ وَوِحْدَانَـــا

---

[٢٥] الميداني: مجمع الأمثال، ص٢٢.

[٢٦] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج١، ص٢١٢.

[٢٧] انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، دار إحياء العلوم، بيروت، (١٩٥٥م)، ١/١٦٦.

www.mtenback.com

لا يَسْأَلُوْنَ أَخَاهُمْ حِيْنَ يَنْدُبُهُمْ فِي النّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا

ويلزم أبناء القبيلة بوجوب تحمّل التبعة والقيام بواجبها وتلبية ندائها وإجابة الصارخ المستغيث.

ويفرض قانون التعاون على القبيلة تحمّل التبعة إذ يجعلها تبعة جماعية فإذا جنى الرجل جناية، تكون قبيلته مسؤولة عن جنايته، وعليها تقع التبعة. وتكون شدّة العصبية وقوتها تابعة لدرجة قرب الدم والنسب وبعدهما. وأقرب دم إلى الإنسان هو دم أسرته وعلى رأسها الأبوان والإخوة والأخوات، ثم الأبعد فالأبعد.

فإذا ما حلّ حادث بإنسان فعلى أقرب الناس دمًا إليه أن يهب لإسعافه والأخذ بالثأر ممن ألحق الأذى بقريبه ولهذا صارت درجات التعاون متفاوتة بحسب الدم ومنازل النسب.

وآخر مرحلة من مراحل التكتل القبلي الانتماء إلى النسب الأكبر وهو ما يجعل التعاون قائمًا على أسس من المصالح العامة والخاصة ويدخل في هذا التكتل الأحلاف الكبيرة التي تحقق القوة والعزة للقبيلة كلها.

ولا تتخلى القبيلة عن التعاون فيما بينها إلا في حالات قليلة نادرة فقد يحدث أن تتخلى القبيلة عن بعض أفرادها ومن ذلك خذلان قبيلة الشاعر طرفة بن العبد له عندما غضب لها من بطش المناذرة بهم وقتلهم بعض رجال القبيلة[٢٨]. وقد أحس طرفة بضرورة التعاون والتعاضد بين بكر وتغلب للظفر بالأمن والحرية، فذهبت صيحاته مع الرياح و لم يتحرك لنصرته أحد، ولما رأى الصمت والعجز سحقته المرارة ولاحت له

[٢٨] ينتهي نسب طرفة بن العبد إلى بني مالك بن بكر بن وائل. وكانت أيام البسوس قد مزقت الأخوة بين بكر وتغلب مما يسّر على حكام الحيرة السيطرة على هاتين القبيلتين.

www.mtenback.com

رجالات قومه شخصيات ضعيفة الهمم دون مستوى الأحداث فقال واصفًا خيبة أمله في أصحابه[٢٩]:

أَسْلَمَنِي قَوْمِي ولم يَغْضَبُوا ... لِسَوْءةٍ حلّتْ بِهِمْ فادحَهْ
كُلُّ خَلِيلٍ كُنتُ خاللتُهُ ... لا تَرَكَ اللهُ لَهُ واضِحَهْ
كُلُّهُمُ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ ... مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَهْ[٣٠]

وتناول طرفة زعماء بأعيانهم بشتم فاحش وهجاء فاضح قال:

أَبْلِغْ سَرَاةَ بَنِي بَكْرٍ مُغَلْغَلَةً ... فَجَدَّعَ اللهُ من آذانِهَا اليَمَنَا[٣١]
عَنِيْتُ ثَعْلَبَةَ العِجْلِيَّ مَألُكَةً ... عِنْدَ الحَوَادِثِ إِذْ أَلَّى وَإِذْ غَبَنَا[٣٢]
والمَرْءَ قَيْسًا يَرَى نَوَّاحَةً بُعِثَتْ ... تَبْكِي لِمَيْتٍ وَلاَ تَبْكِي بِهِ شَجَنَا
مَادَافَعُوا فَيَرَى فِيهِمْ مَكَانَهُمُ ... وَلاَ سَمِعْنَا لَهَا مِن ذِكْرِهَا حَسَنَا[٣٣]

على أن طرفة كان فاقد الرجاء في النصرة، مستسلمًا لقدره و لم يكن اعتقاله إلا لما جُبل عليه من حب لقبيلته وتعصب لها، وغيرة على عزتها، ورغبة في تحريرها من سلطان الأقوياء العالين عليها.

وقد تضع العصبية القبلية أهلها في موقف حرج كثير التعقيد عندما تصادم منافعهم الذاتية وتتركهم حيارى بين واجبهم القبلي والحرص على المكتسبات الفردية

---

[٢٩] طرفة بن العبد: ديوانه، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر بيروت ١٩٥٣م.

[٣٠] لسوءة: لخلة قبيحة. فادحة: ثقيلة. واضحة: وهي التي تظهر عند الضحك. أروغ: من راغ الرجل عن الطريق: حاد عنه وذهب هكذا وهكذا مكرًا وخديعة.

[٣١] المغلغلة: الرسالة.

[٣٢] ألى: قصر وأبطأ

[٣٣] طرفة: ديوانه، ص٤٦.

www.mtenback.com

التي بلغوها بمالأة الملوك أو العمالة لهم. ولا يزالون في نزاع مع أنفسهم بين الأمرين حتى ينتهي بهم الأمر إلى كارثة محققة بالسجن أو القتل. وتعدّ المأساة التي عاشها قيس ابن مسعود مثالاً واضحًا في هذا الصدد[٣٤]. فقد كان الرجل زعيم شيبان غير مدافع ورث الشرف كابرًا عن كابر. وكانت القبيلة الأم بكر بن وائل كلها تقرّ لبيته بالعزة والاذعان، وهي أكبر القبائل وأعظمها خطرًا. وكانت تهدد العراق وبلاد كسرى من الجنوب فاصطنع كسرى قيسًا وولاه إقليمًا خصبًا مدرًا قرب مصب الرافدين، واستكفاه به قومه. ولم يضق به الأمر إلاّ حين استحكم النزاع بين كسرى وهانئ بن مسعود الشيباني بسبب دروع النعمان بن المنذر وسلاحه المستودع لدى هانئ[٣٥]. ولما أزمع كسرى تأديب هانئ أمر قيسًا أن ينضم بمن معه إلى الفرقة العربية في الجيش الفارسي المتقدم نحو ذي قار. وكانت معضلة لم يخرج منها قيس إلا محطم المجد حبيسًا في قبضة كسرى. وكانت الجموع التي انسلت إلى هانئ تعاضده تتطلع إلى قيس وتنتظر معاضدته، فراغ روغانًا بين الطمع والشرف: لا يريد أن يفرط بالولاية والثراء، ولا أن يخسر زعامة القبيلة التي أنالته منصبه عند كسرى، فلم يترك صفوف العدو. وانسل ليلة الموقعة إلى قادة قومه وبث فيهم جملة نصائح كان لها أثرها في سير المعركة. ولعله انهزم بجنده لما حمي وطيسها، فكانت له اليد الطولى في اندحار الفرس. ولم يخف أمره على كسرى فأمسك به في السجن حتى مات. وتيقظت في السجن عواطفه القبلية على صفاء بعد أن بارحته الأطماع وخيم عليه التفكير بمستقبل بكر بن وائل كلها ونجاتها مما يبيّت لها كسرى من حملة انتقامية، فدعاهم من وراء القضبان

---

[٣٤] هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين.

[٣٥] ذكر الطبري أن النعمان نزل بذي قار في بني شيبان، فلقي هانئ بن مسعود فدفع إليه أهله، وعلم أن هانئًا مانعه مما يمنع نفسه وتوجه النعمان إلى كسرى فقيده في خانقين، انظر: الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، (١٩٦٦م)، ج١، ص٦٠٨.

www.mtenback.com

مخلصًا - وهو على يقين من الموت - إلى الاتحاد والتناصر، وإلى الاعتصام بالصحراء ليستدرجوا عدوهم إليها بعيدًا عن موارد المياه و الإمداد فقال[٣٦]:

أَلاَ لَيْتَنِي أَرْشُوا سِلاَحِي وَبَغْلَتِي ... فَيُخْبَرُ قَومِي اليَوْمَ مَا أَنَا قَائِلُ

فَأَوْصِيهِمُ بِاللهِ والصُّلْحَ بَيْنَهُمْ ... لِيَنْطَأَ مَعْرُوفٌ وَيُزْجَرَ جَاهِلُ

وُصَاةَ امْرِئٍ لَو كَانَ فِيكُمْ أَعَانَكُمْ ... على الدَّهْرِ وَالأَيَامُ فِيهَا الغَوَائِلُ

فَإِنَا ثَوَيْنَا فِي شُعُوبٍ وَإِنَّهُمْ ... غَزَتْهُمْ جُنُودٌ جَمَّةٌ وَقَبَائِلُ[٣٧]

وَإِنَّ جُنُودَ العُجْمِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... فَيَا فَلَجِي، يَا قَومُ إِنْ لَمْ تُقَاتِلُوا

فَإِيَّاكُمُ وَالطَّفَّ لاَ تَقْرَبُنَّهُ ... وَلاَ البَحْرَ إِنَّ المَاءَ لِلقَوْدِ وَاصِلُ[٣٨]

وَلاَ أَحْبَسَنْكُم عَن بَغَا الخَيْرِ إِنَّنِي[٣٩] ... سَقَطْتُ على ضِرْغَامَةٍ وَهُوَ آكِلُ

كان للعصبية أثرها المهم في حياة العرب السياسية والاجتماعية قبل الإسلام، وقد كانت إذا ذاك ضرورة من الضرورات اللازمة للحياة الجاهلية، لأنها الحائل الذي يحول بين الفرد وبين الاعتداء عليه، والرادع الذي يمنع المستهترين بالسنن التطاول على حقوق الناس. إذا لا حكومة قوية رادعة ولا هيبة حاكمة في استطاعتها الهيمنة على البوادي وعلى العرب المتنقلين بل هناك قبائل متناحرة وإمارات متنافرة، وإذا ارتكب إنسان جريمة في أرضها، وفرّ إلى أرض أخرى نجا بنفسه وأمن على حياته هناك، ولكنه كان يخشى شيئًا واحدًا لم يكن لأحد منه عليه سلطان هو العصبية، وسنة الأخذ بالثأر

---

[٣٦] انظر الأصفهاني: الأغاني، ٢٠/١٣٤.

[٣٧] الشعوب: المنية.

[٣٨] البحر: أراد به الماء المجتمع من دجلة والفرات عند التقائهما، الطف: مكان. القود: الخيل.

[٣٩] بغا الخير:وطلبه.

www.mtenback.com

وهي العصبية في ثوبها العملي. كان يخشى سلطان الأخذ بالثأر، حيث يتعقبه أهل الثأر، فلا يتركونه يهنأ بالحياة ولو بعد مضي عشرات من السنين حتى يقتل أقرب الناس إليه. وبذلك صارت العصبية ضرورة من ضرورات الحياة تحمي سكان جزيرة العرب وتصونهم من عبث العابثين.

وقد أدرك الإسلام ما في العصبية من أخطار على المجتمع وما في الأخذ بالثأر من ضرر على الأمة، إذ يحول المجتمع إلى مجتمع ذئاب يأخذ كل ذئب بحقه من غريمه، فنهى عنها وحوّل العصبية الجاهلية إلى عصبية إسلامية بأن يغضب المسلم لأهل عصبيته ولدينه فيدافع عنه ويقاتل في سبيله وفي سبيل رفع الظلم عمن وقع عليه بمساعدة من بيدهم الأمور على إحقاق الحق وإظهار حق المظلوم لديهم وحرّم العصبية المعروفة: قال ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل على عصبية»[٤٠]. ومنع الأخذ بالثأر، إذ جعل حقه من حقوق أولي الأمر ومن بيده سلطان المسلمين ومن ينيبونه عنهم للقضاء بين الناس.

أما التعاون فقد أمر الله تعالى به في كتابه إلاّ أنه قيّده بأن يكون تعاونًا على البر والتقوى لا تعاونًا على الإثم والعدوان لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤١].

أما المعونة والمناصرة فقد جعل الإسلام لها ضوابط: وفسر معنى النصر الذي كانت العرب تعرفه في جاهليتها إلى نصر إنساني فيه ردع للظالم أيًا كان فجاء في الحديث: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان

---

[٤٠] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داود، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض: كتاب الأدب باب العصبية، ص٣٣٢، حديث رقم ٥١٢١.

[٤١] سورة المائدة: الآية ٢.

www.mtenback.com

مظلومًا، أرأيت إن كان ظالمًا فكيف أنصره؟ قال: «تحجزه أو تمنعه من الظلم. فإن ذلك نصره»[٤٢].

في هذا الحديث أمر بالتعاون في موضوع التناصر بالحق، وهذا التناصر من أخلاق المسلمين الجماعية، فمن وجد أخاه مظلومًا وكان باستطاعته أن ينصره ويدفع عنه الظلم فعليه أن ينصره على مقدار استطاعته، ولو بكلمة طيبة، أو بشهادة نافعة، أو بشفاعة حسنة، ويأتي فوق ذلك نصره بصفة عملية، كاستخدام قوة السلطان المادية أو المعنوية، أو استخدام المكانة الاجتماعية أو غير ذلك من أنواع النصرة العملية.

وقد أضاف الحديث هنا معنى جديدًا للنصرة وهي نصرة الأخ الظالم فبيّن الرسول ﷺ أن نصرة الظالم تكون بحجزه عن الظلم ومنعه منه، وهذا هو النصر الحقيقي له لا معونته على ظلمه؛ لأن حجزه عن الظلم ومنعه منه نصر له على نفسه وأهوائها الجانحة عن سبيل الحق، ونصر له على وساوس شياطين الإنس والجن وما يوحون به لأوليائهم، وفي هذا إنقاذ له وحماية له من دنس الإثم والعدوان.

أما نصره بمعنى معاونته على الظلم وشدّ أزره فيه، فهو في الحقيقة ليس بنصر له بل هو خذلان له ونصر لأعدائه عليه، وأعداؤه هنا أهواؤه وشهواته الجانحة الجامحة.

وتظهر براعة الرسول التعليمية هنا في طرحه الكلام الذي يوهم في ظاهره معنى غير مراد، ليثير في نفوس المخاطبين إشكالاً يدعوهم إلى الاستفسار عن الحقيقة، وقد كان الرسول ﷺ واثقًا من أن الكلام لن يمرّ دون أن يثير استفساراً في نفوس أصحابه؛ لأنه كان يعلمهم ما يجب عليهم أن يفعلوه مع الظالم من ردعه عن الظلم ونصرة المظلوم عليه. ولكنه في هذا الموقف أراد أن ينبههم إلى معنى دقيق من معاني النصرة الحقيقية وهو المعنى الذي بيّنه لهم بعد أن أثار في نفوسهم الإشكال ودعاهم إلى الاستفسار.

---

[٤٢] الإمام أحمد بن حنبل: المسند، المكتب الإسلامي بيروت، ط٢، (١٩٧٨م)، ج٣، ص٩٩.

www.mtenback.com

وكان من ضمن المفاهيم الجاهلية – كما مرّ علينا – التناصر القبلي بالحق وبالباطل فمتى كان فرد من قبيلة نصره أهل قبيلته على من خالفه من غير أهلها ولو كان هو الظالم المعتدي وكان من خالفه هو المظلوم المعتدى عليه وكذلك الأسرة الواحدة تنصر ظالمها على المظلوم من أسرة أخرى وهكذا كل الدوائر القبلية.

ولما جاء الإسلام ألغى هذا المفهوم العصبي الذي يتنافى مع أوليّات الأسس التي تقوم عليها مكارم الأخلاق وصحح في نفوس المسلمين وأفكارهم ذلك، وأحلّ محله المفهوم الأخلاقي الكريم الذي تعبر عنه في السلوك الأخلاقي نصرة المظلوم على الظالم، مهما كان المظلوم بعيداً والظالم ذا قربى.

التحالف:

الحلف في اصطلاح علماء اللغة: العهد بين القوم. والحلف والمحالفة: المعاهدة. وأصله اليمين التي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد، ثم عُبّر به عن كل يمين. والمحالفة أن يحلف كلّ للآخر فمعنى الحلف في الأصل المعاقدة والمعاهدة على التعاضد و التساعد والاتفاق. وتحالفوا بمعنى تعاهدوا وعقدوا اتفاقاً وعهداً وتآخوا على العمل يداً واحدة[٤٣].

وفي كلمة الحلف شيء من الدلالة على الشعائر والأيمان والمعاني الدينية ؛ ولذلك قيل للحلف اليمين؛ لأن من عادتهم عند عقد الحلف بسط أيمانهم إذا حلفوا وتحالفوا وتعقدوا وتبايعوا، وكانوا ينظرون إليها على أن لها قداسة وحرمة. والحانث بيمينه ينظر إليه بأشد أنواع التحقير والازدراء، ويعد الحنث باليمين من الموبقات والكبائر التي لا يغتفر صدورها من شخص في شريعة الجاهليين. وقد أمر الإسلام بالوفاء بالعهد، والعهد بمعنى الحلف أيضاً قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[٤٤].

---

[٤٣] انظر: ابن منظور: لسان العرب، م٩، ص ٥٣. مادة (ح ل ف).

[٤٤] سورة النحل: الآية. ٩١.

www.mtenback.com

ويرد الميثاق بمعنى العهد والمواثقة والمعاهدة. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[٤٥].

وتكون بين المتحالفين مواثيق على الوفاء بالالتزامات التي نصّ عليها واتفق الطرفان المتعاقدان أو الأطراف المتعاقدة على الوفاء بها كاملة غير منقوصة.

ويكون الحلف بين الأفراد، كما يكون بين الجماعات والحكومات، فيتحالف الأفراد بعضهم مع بعض، ويعلن ذلك الحلف ليكون معلومًا بين الناس. وتتحالف القبائل بعضها مع بعض، ويعلن حلفها ليكون معلومًا عند أفرادها وعند القبائل الأخرى. وتتحالف الحكومات: حكومات عربية مع حكومات عربية أو حكومات عربية مع حكومات أعجمية.

والفكرة التي حملت العرب على عقد الأحلاف هي الفكرة نفسها التي تدفعهم اليوم على عقد الأحلاف بينهم، أو مع غيرهم. وهي الضرورة والدفاع عن مصالح خاصة أو عامة؛ أي الفكرة ذاتها التي تدفع الدول على التكتل والتحزب وعقد الأحلاف الدولية في يومنا هذا أو في المستقبل وغرض كل ذلك هو التعاون لمصالح المتعاونين.

وهناك أحلاف عقدت لأغراض هجومية، وأحلاف عقدت لمصالح اقتصادية، وأحلاف لتثبيت نظم وإقرار قوانين، وأخذ حقوق وردع ظالم وإنصاف مظلوم.

وقد تعقد الأحلاف لأغراض معينة، فتكون لها آجال محددة، كأن تسعى قبيلة لعقد حلف مع قبيلة أخرى لمساعدتها في صدّ غزو سيقع عليها، أو لمساعدتها في غزو قبيلة أخرى للأخذ بثأر من قبيلة لها ثأر معها، ومثل هذه الأحلاف لا تعمر طويلاً، إذ ينتهي أجلها بانتهاء الغاية التي من أجلها عقد الحلف.

---

[٤٥] سورة الرعد: الآية ٢٠.

www.mtenback.com

والغالب أن الضعيف هو الذي يبحث عن حليف يحالفه ليقوى بهذا التحالف نفسه ويعزز به مكانه قال البكري: «فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة، وتنافس الناس في الماء والكلأ والتماسهم المعاش في المتسع، وغلبة بعضهم بعضًا على البلاد والمعاش، واستضعاف القوي للضعيف، انضم الذليل منهم إلى العزيز، وحالف القليل منهم الكثير، وتباين القوم في ديارهم ومحالهم وانتشر كل قوم فيما بينهم»[٤٦].

لقد دفعت الضرورات قبائل جزيرة العرب إلى تكوين الأحلاف للمحافظة على الأمن والدفاع عن مصالحها المشتركة كما تفعل الدول. وإذا دام الحلف أمدًا وبقيت هذه الرابطة التي جمعت شمل تلك القبائل متينة، فإن هذه الرابطة تنتهي إلى نسب يشعر معه أفراد الحلف أنهم من أسرة واحدة تسلسلت من جدٍّ واحد. وقد يحدث ما يفسد هذه الرابطة أو ما يدعو إلى انفصال بعض قبائل الحلف، فتنضم القبائل المنفصلة إلى أحلاف أخرى وهكذا تتكون أحلاف وأخرى تنحل وتضعف.

ولم يكن في مقدور القبائل أو العشائر الصغيرة المحافظة على نفسها من غير حليف قويّ يشدّ أزرها إذا هاجمتها قبيلة أخرى، أو أرادت الأخذ بالثأر منها. وقد كانت معظم القبائل داخلة في هذه الأحلاف إلا عددًا قليلاً من القبائل القوية كثيرة العدد وكانت تفاخر بنفسها لأنها لا تعتمد على حليف يدافع عنها، بل كانت تأخذ بثأرها وتنال حقها بالسيف.

وخير مثال للقبائل التي اقتضت مصالحها التعاون والتحالف بينها، هو الحلف الذي قيل له (تنوخ) فقد اجتمع بالبحرين قبائل من العرب وتحالفوا وتعاقدوا على التناصر والتآزر، فصاروا يدًا واحدة وضمهم اسم (تنوخ)[٤٧].

---

[٤٦] البكري الأندلسي، أبو عبيد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (١٩٤٧م)، ج١، ص٥٣.

[٤٧] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، م٤، ص٣٧٤.

www.mtenback.com

ومن هذا القبيل الحلف الذي قيل له (البراجم) زعم أهل الأخبار أن حارثة بن عمرو بن حنظلة قال لهم: أيتها القبائل التي قد ذهب عددها تعالوا فلنجتمع ولنكن كبراجم يدي هذه، فقبلوا، فقيل لهم البراجم[٤٨].

ونجد لفظ (الحليفان) للدلالة على تحالف قبيلتين أو (الأحلاف) تعبيراً عن حلف عقد بين قبيلتين أو أكثر، تتردد في كتب أهل الأنساب والأخبار، وقد قصد بها أحلاف عديدة وقد قيل لأسد وغطفان (الحليفان) لأنهما تحالفا وتعاقدا على التناصر والتآزر. كما قيل لهما الأحلاف قال زهير[٤٩]:

فَمَنْ مُبْلِغَ الأَحْلافِ عَنِّي رِسَالَةً ... وذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُم كُلَّ مَقْسَمِ

يقصد بالأحلاف (أسد وغطفان).

والأحلاف في قريش ست قبائل: عبد الدار، وكعب وجُمَح، وسَهْم، ومخزوم، وعَدِيّ، لأنهم لما أرادت بنو عبد مناف أخذ ما في يد عبد الدار من الحجابة والسقاية، وأبت عبد الدار، عقد كل قوم على أمرهم حلفًا مؤكدًا على ألا يتخاذلوا فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا، فوضعتها لأحلافهم وهم أسد، وزُهرة، وتيم، عند الكعبة فغمسوا أيديهم فيها وتعاقدوا، وتعاقدت بنو عبد الدار وحلفاؤهم حلفًا آخر مؤكدًا، فسموا الأحلاف، وقيل لعمر رضي الله عنه أحلافيّ لأنه عدوي[٥٠].

ولما تحالفت غطفان وبنو أسد وطيء قيل لهم: الأحاليف لعقدهم حلفًا على التناصر والتآزر. قال ربيعة بن مَقْرُوم[٥١]:

---

[٤٨] الزبيدي، المرتضى الحسيني: تاج العروس، دار ليبيا، بنغازي، ط١، (١٩٦٦م)، ١٩٩/٨ (البرجمة).

[٤٩] زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني: ديوانه، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص١٠.

[٥٠] الفيروزآبادي: المعجم الوسيط، ص١٠٢٥.

[٥١] المفضل الضّبي، أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلى: المفضليات، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، (١٩٢٠م) ص٣٦٤.

www.mtenback.com

إذَا حَلَّ أَحْيَـــاءَ الأَحَـــالِيفَ حَوْلَـــهُ بِـــذِي لَجَـــبٍ هَدَّاتُـــه وَصَوَاهِلُـــه

وقد ورد في معلقة الحارث بن حِلِّزَة اليشكري اسم حلف (ذي المجاز) الـــذي عقد بين بكر وتغلب بوساطة عمرو بن هند وقد أخذ فيه عمرو بـــن هنـــد العهـــود والمواثيق والكفلاء من الطرفين حذر الجور والتعدي. قال الحارث[٥٢]:

وَاذْكُرُوا حِلْفَ ذِي المَجَازِ وَمَا قُـــدِّ م فِيْـــهِ العُهُـــودُ والكُفَـــلاَءُ

حَذَرَ الجَورِ وَالتَّعَـــدِّي وَهَـــلْ يَنْـــ قُضُ مَـــا فِـــي المَهَـــارِقِ الأَهْـــوَاءُ

واستعمل الجاهليون لفظة (حبل) و(حبال) للعهود والمواثيق فالحبل هو العهـــد والذمة والأمان، فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهداً من سيد كل قبيلة فيـــأمن بـــه مادام في تلك القبيلة حتى ينتهي إلى الأخرى فيأخذ مثل ذلك أيضاً يريد به الأمان. وفي هذا المعنى جاء قول الأعشى[٥٣]:

فَـــإِذَا تُجَوِّزُهَـــا حِبَـــالَ قَبِيْلَـــةٍ أَخَذَتْ من الأُخْرَى إِلَيْـــكَ حِبَالَهَـــا

وقد أفادت قريش من الحبال التي عقدتها بينها وبين القبائل إذ أمنت بذلك على تجارتها، وقد كانت واسعة تشمل كل جزيرة العرب وتتصل بالعراق وبـــلاد الشـــام فصارت قوافلها العامة والخاصة تمر بأمن وسلام من كل مكان بفضل حنكة سادة مكة وذكائهم في تأليف قلوب سادات القبائل وربطهم بهم بعهود ومواثيق، جعلت التحرش بقوافلهم من الأمور الصعبة، وإذا طمع بها طامع أدبّه سيّد قبيلته التي يخضع لها[٥٤].

---

[٥٢] الشنقيطي، أحمد بن الأمين: شرح المعلقات، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، (د.ت)، ص١٦٦.

[٥٣] الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل: ديوانه، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعـــب، بـــيروت (١٩٨٠م)، ص١٤٠.

(٦٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب ٣٨٥/٤.

www.mtenback.com

وقد أعزوا الحلف حتى إن الحليف لينصر حليفه على بني عمه. يقول أحد شعراء الحماسة وقد اعتدى بنو عمه على حليفه حوشب[٥٥]:

سآخُذُ مِنْكُمْ آلَ حَـزْنٍ بِحَوْشَـبٍ ... وإنْ كَانَ مَوْلًى لي وكُنْتُـمْ بَنِـي أَبِ

فَقُلْ لِبَنِي عَمِّي – فَقَـدْ وَأَبِيْهُـمُ– ... مُنُوا بِهَرِيْتِ الشَّدْقِ أَشْوَسَ أَغْلَـبِ

أَفِيْقُوا بني حَـزْنٍ وَأَهْوَاؤُنَـا مَعًـا ... وَأَرْحَامُنَـا مَوصُولَـةٌ لم تُقَضَّـبِ

وافتخر عبيد بن الأبرص بحمايته حليفه بقوله[٥٦]:

إِنَّـا لَعَمْـرُكَ لا يُضَـا ... مُ حَلِيفُنَـا أَبَـدًا لَدَيْنَـا

وقال أيضًا[٥٧]:

نَحْمِـي حَقِيْقَتَنَـا وَنَمْنَـعُ جَارَنَـا ... وَنَلُـفُّ بَيْـنَ أَرَامِـلِ الأَيْتَـامِ

ومن إعزازهم للحلف أن قريشًا كانت تزفع عن تزويج بناتها من غيرها إلاّ إذا كان من حلفائها[٥٨].

وقد كانت السنة الشائعة بينهم أن للحليف نصف دية الصريح وإن كان مالك ابن عجلان قد رفض أن يأخذ من بني عوف في حليفه إلاّ الدية كاملة، فرفضوا، فنشبت حروب بين الأوس والخزرج إلى أن احتكموا إلى ثابت بن المنذر – والد حسّان – فحكم أن يؤدى حليف مالك دية الصريح، ثم يكون العرف بينهم على ما كان

---

[٥٥] أبو تمام، حبيب بن جاسم بن أوس الطائي: الحماسة، تحقيق: عبد الله عبد الرحيم عسيلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص١٨٣.

[٥٦] عبيد بن الأبرص: ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت، (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص١١٤.

[٥٧] المرجع السابق نفسه ص ١٣٢. الحقيقة ما يحق عليه أن يحميه. نلف: نجمع.

[٥٨] الحوفي، أحمد بن محمد: الحياة العربية في الشعر الجاهلي، دار القلم بيروت، ط٤، (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ص٢٩٠.

www.mtenback.com

عليه: للصريح ديته وللحليف نصفها، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت مفتخراً بقضاء أبيه[٥٩]:

وَأَبِـي فِي سُـمَيْحَةَ القَـائِلُ الفَـا صِلُ حِين التَقَـتْ عَلَيْـهِ الخُصُـومُ

وقد يقع أسير في أسر فلا يتمكن من فداء نفسه ثم يطلب من آسـره أن يكون حليفًا له؛ فإذا قبل آسره منه ذلك صار في حلفه وحلف قبيلته[٦٠].

ولم يكن من السهل المحتمل أن يخيس حليف بعهده أو ينقض ذمة عقدها لحليفه.

وتدوّن الأحلاف -أحيانًا- لتوكيدها وتثبيتها، وتحفظ عند المتعاقدين في المعابد. ومن ذلك الصحيفة التي كتبتها قريش لما رأت أن أصحاب الرسول ﷺ قـد نزلـوا الحبشة فأصابوا بها أمنًا وقرارًا،وأن ملكها (النجاشي) قد منع من لجأ إليه منهـم، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم،فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله وأصحابـه، وأخذ الإسلام ينتشر بين القبائل ويفشوا بينها، صار الأمر مدعـاة إلى أن اجتمعـت قريش وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني عبد المطلـب على ألا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، وألا يبيعوهم شيئًا أو يبتـاعوا منهـم. فلمـا اجتمعوا على ذلك كتبوه في الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسـهم، فلمـا فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلـب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب وعبد العُزّى ابـن عبد المطلب، إلى قريش فظاهراهم[٦١].

---

[٥٩] حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري: ديوان حسان بن ثابت، دار الكتب العلميـة، بـيروت، ط١، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص١٧٢.

[٦٠] ابن هشام البصري، جمال الدين أبو عبد الله بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق:عبد الرءوف سعد، ط١، دار الجيل، بيروت، (١٩٩١م)، م١، ص٣٥٠.

[٦١] المرجع السابق نفسه.

www.mtenback.com

فلما اجتمعت على ذلك قريش، وصدقوا الذي صاغوا وبدأ سريان اتفاق الصحيفة، قال أبو طالب[٦٢]:

أَلاَ بَلِّغَا عنّي على ذَاتِ بَيْنَنَا ... لُؤَيًّا وَخُصًّا من لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ

أَفِيْقُوا أَفِيْقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى ... وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذِي الذَّنْبِ

وَلاَ تَتْبَعُوا أَمْرَ الوِشَاةِ وَتَقْطَعُوا ... أَوَاصِرَنَا بَعْدَ المَوَدَّةِ والقُرْبِ

من التعاون الجوار:

والجار والمجير و المعيذ واحد. ومن عاذ يشخص: استجار به[٦٣].

والغاية من الجوار، طلب الحماية والمحافظة على النفس والأهل والمال، وذلك لا يطلبه – في العادة – إلا محتاج إليه. ولا يشترط في الجوار نزول الجار قرب المجير أو في جواره، أي أن يكون بيته ملتصقًا ببيته، فقد يكون على البعد كذلك؛ لأن الجوار حماية ورعاية. وتكون الحماية حيث تصل سلطة المجير، وتراعى فيه حرمته وذمته[٦٤].

ولا يجير أحد إنسانًا إلاّ أحسّ أنّ في إمكانه أداء أمانة الجوار، وإلاّ عرض نفسه وأهله وقبيلته للأذى.

وقد أوصوا بالجار خيرًا ورجوا من الجار أن يكون كذلك قدوة حسنة في جواره، فلا يسيء إلى جاره أو إلى جواره. وعلى الجار أن يغض نظره عن عيوب جاره، وأن يكون يقظًا في حفظ حقوق جاره فطنًا في الدفاع عنه، وليس له أن يتملص من حقوق الجوار إذا استحقت ووجبت ؛ لأن للجار حقًا عليه. قال قيس بن عاصم[٦٥]:

لاَ يَفْطِنُونَ لَعَيْبِ جَارِهُمُ ... وَهُمْ لِحِفْظِ جِوَارِهِ فُطُنُ

---

[٦٢] ابن هشام: السيرة النبوية، ص٣٥٠.

[٦٣] ابن منظور: لسان العرب، م٤، ص ١٥٥ (ج و ر).

[٦٤] انظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٣٦٤.

[٦٥] أبو تمام: الحماسة، ج٤، ص ٥٨٤.

www.mtenback.com

ولا يشترط في الجوار أن يكون جوار أحياء، فقد يستجير إنسان بقبر فيصير في جواره وفي حرمة ذلك القبر،وعلى أصحاب ذلك القبر الذبّ عن هذا الجار والدفاع عنه. ومن هذا القبيل استجارة الناس بقبر عامر بن الطفيل، فقد ذكر أن قومه (بني عامر) وضعوا حول قبره أنصابًا على مسافة منه إذا اجتازها اللاجيء ودخل الحرم المحيط بالقبر صار آمنا على ماله ونفسه لا يخشى خشية أحدًا يريد إنزال سوء به، وقد منعوا دخول حيوان إليه أو مرور راكب به احترامًا لحرمة صاحب القبر[٦٦].

وقد يستجير الإنسان بمعبد أو بأي موضع مقدّس فيكون في جواره وحرمة ذلك المكان. وعلى أصحابه أداء حقوق الجوار. ومن ذلك القبيل جوار مكة ؛ فمن دخل حرم البيت صار في جواره آمنًا مطمئنًا لا يجوز الاعتداء عليه أو إخافته لأنه في حرمة البيت وعلى قريش الذبّ عنه[٦٧].

وقد كان لآل محلم بن ذهل قبة بوادي عوف عرفت بقبة المعاذة، من لجأ إليها أعاذوه، وآل عوف من أشرفهم في الجاهلية ومن رجالهم عوف بن محلم ابن ذهل بن شيبان الذي يضرب به المثل (لا حُرّ بوادي عوف). وقصة المثل أن عمرو بن هند طلب من عوف ابن محلم مروان بن القرظ وكان قد أجاره، فمنعه عوف وأبى أن يسلمه. فقال عمرو بن هند (لا حُرّ بوادي عوف) ؛ أي أنه يقهر من حلّ بواديه، وكل وهو من أمثال العرب في الرجل العزيز المنيع الذي يعز به الذليل ويذلّ به العزيز. ومثل: كل من صار في ناحيته خضع له. ولما توفي عوف دفن بواديه وأقاموا على قبره قبة فصارت ملاذًا لمن يطلب الجوار[٦٨].

---

[٦٦] انظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، م٢، ص ١٨٤.

[٦٧] انظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ٣٦٣/٤.

[٦٨] انظر: الزبيدي السيد مرتضى: تاج العروس، ج٦، ص٢٦ (تعوف).

www.mtenback.com

والجوار من السنن التي حافظ عليها الجاهليون واعتدوها كالقوانين، فإذا استجار شخص بشخص آخر أو استجارت قبيلة بأخرى، اكتسب هذا الجوار صيغة قانونية ووجب على المجير المحافظة على حق الجوار، وإلاّ نزلت السبة بالمجير وازدراه الناس.

وقد تمادوا في حماية الجار إلى حدّ أنهم زعموا حمايته من الموت، وذلك أنه إذا مات دفع حاميه ومجيره ديته إلى أهله ؛ فقد رووا أن الأعشى خاف بني عامر على ما معه من عطايا الأسود العنسي؛ فأتى علقمة بن علاثة فقال له: أجرني. فقال: أجرتك. قال: من الجن والإنس؟ قال: نعم. قال ومن الموت! قال نعم. قال: وكيف تجيرني من الموت؟ قال: إن متّ وأنت في جواري بعثت إلى أهلك الدية. فقال: الآن علمت أنك قد أجرتني من الموت. فمدح عامراً وهجا علقمة [٦٩].

من التعاون الولاء:

جاء في لسان العرب: المولى: الولي والعصبة، والحليف، وابن العم، والأخ، والابن وابن الأخت، والعصبات كلهم والجار والشريك [٧٠]. والمولى: العبد ؛ أي المملوك الذي يمنّ عليه صاحبه بأن يفك رقبته فيعتقه، ويصير المملوك بذلك مولى لمعتقه.

ولاء العقد: ويقال له ولاء الحلف، فيكون بانتماء رجل إلى رجل آخر بعقد، أو قبيلة إلى قبيلة أخرى بحلف وذلك بأن يتعاقد ضعيف مع قويّ على أن يساعده ويعاونه ويعاضده، ويقوم في مقابل ذلك بأداء ما اتفق عليه من شروط، وينتسب المولى عندئذٍ إلى سيده أي مولاه الذي قبل ولاءه. ومن هذا القبيل أن يهود يثرب كانوا في ولاية الأوس والخزرج لجأ كل بطن منهم إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم،

---

[٦٩] انظر الأصفهاني: الأغاني، ج٨، ص ٨. وللجار مبحث مستقل في هذه الموسوعة.

[٧٠] ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص ٤٠٨، مادة (و ل ي).

www.mtenback.com

وصاروا موالٍ لهم؛ إذا وقع عليهم ضيم لجؤوا إلى من انتموا إليه بالولاء بالدفاع عنه. ولّما ظهر الإسلام كان منهم من دخل في ولاء «عبد الله بن أبي»، ومنهم من دخل في ولاء سعد بن معاذ، ومنهم من كان في ولاء عبادة بن الصامت، وكان عليهم في مقابل ذلك العون والنصرة لمن دخلوا في ولائه أو ولائهم والدفاع عنهم.

ولاء الرحم: وهذا النوع من الولاء يكتسب بالزواج من موالي بعض القبائل فينسب إلى القبيلة التي تزوج من مواليها [٧١].

والمولى عند العرب قديمًا كان يعامل معاملة الابن من حيث الحقوق ؛ إذ يرث كالأبناء الصّرحاء، ويحرم بموالاته مايحرم على الولد الصريح. ولذا كان عزّه من عزّ مولاه، وهو داخل في كفالة مولاه الواجبة بالعرف لأفراد الأسرة، لا تلك الكفالة التي تقع من الكافل لجميع الأفراد والجماعات. يقول طرفة بن العبد في ذلك[٧٢]:

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظنّ أنّهُ إذا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فَهْوَ ذَلِيْلُ

ويقول بدر الدين بن عَلْماء العامري[٧٣]:

إذا سِيْمَ مَوْلاَكَ الهَوَانَ فإنّمَا تُرَادُ بِهِ، فَاقْصِدْ لَهُ وَتَشَدّدِ

ويقول ابن المولى[٧٤]:

وَلاَ تَطْلُبَنْ عِزًا بِذُلّ عَشِيرةٍ فَإِنّ الذّلِيْلَ مِن تَذِلُّ عشائره

واضح أن البيت حثّ على أن يحرص الأفراد على حفظ كرامة العشيرة والسعي إلى الإتيان بما يحقق ذلك والتعاون والتكاتف بينهم لئلا يذل أحد منهم.

---

[٧١] زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، القاهرة، ط٢، (١٩٥٨م)، ص ٣٨.

[٧٢] طرفة بن العبد: ديوانه، ص٨١.

[٧٣] البحتري: الحماسة، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، (١٩٢٩م)، ص ١١٦.

[٧٤] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

ومن التعاون التكافل

وهو أن يتضامن أبناء المجتمع، ويتساندوا فيما بينهم سواء كانوا أفرادًا أو جماعات، حكامًا أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم، أو سلبية كتحريم الاحتكار، بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل عقيدة سليمة، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل[٧٥].

يقول الأستاذ أبو زهرة: يقصد بالتكافل الاجتماعي: أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمدّه بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الأضرار، ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي، وإقامته على أسس سليمة [٧٦].

ولعَلّ أبلغ تعبير جامع لمعنى التكافل الاجتماعي قوله عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا»[٧٧]، وقوله عليه السلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٧٨].

والتكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤداه: أن يحسّ كلّ واحد في المجتمع بأنّ عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها، وأنه إن تقاصر في أدائها فقد يؤدي ذلك إلى انهيار

---

[٧٥] علوان، عبد الله ناصح: التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، حلب، ط٥، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص١٥.

[٧٦] أبو زهرة، محمد: التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، ص٧.

[٧٧] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا حديث رقم ٢٠٢٦.

[٧٨] مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب البر، باب ١٧ حديث رقم: ٢٥٨٦، ج٤، ص ١٩٩.

www.mtenback.com

البناء عليه وعلى غيره، وأن للفرد حقوقًا في هذا المجتمع يجب على القائمين عليه أن يعطوا كل ذيّ حقٍ حقه من غير تقصير ولا إهمال، وأن يدفع الضرر عن الضعفاء ويسدّ خلل العاجزين، وأنه إن لم يكن ذلك تآكلت لبنات البناء، ولابدّ أن يخر منهارًا بعد حين.

والتكافل الاجتماعي يوجب سدّ حاجة المحتاجين ممن لايستطيعون القيام بعمل، يسد عجز العاجزين، ويهيئ العمل للقادرين، ويربى النشء تربية تظهر القوى والمواهب، والذين يخرجون إلى الحياة وقد فقدوا من يعولهم، فإن التكافل يوجب تعهدهم ليكونوا لبنات قوية في بناء الجماعة، وإن الذين يعجزون بعد القدرة من العاملين، فعلى المجتمع أن يسهل لهم الحياة كفاء ماقدموا من خدمات.

التكافل شيمة جبل عليها العربيّ وهو لايقوم بها من أجل الإطراء أو الرياء أو العصبية أو السمعة، وإنما يعمل ذلك لرسوخه في خلقه، فقد يقدم المعونة لشخص لا يعرف من حقيقته سوى أنه محتاج، ويربأ بنفسه أن يقدمها لغير محتاج إليها، كما هو مألوف عند كثير من الأمم، إذ الذي يكرم فيها وتقدم له الأموال والهدايا هو القادر الغني ذو السلطان. أما العرب فلايرون ذلك مسلكًا، إذ يقول ابن هرمة[٧٩]:

وإنَّ الكَرِيْمَ مَنْ يُكَرِّمُ مُعْسِرًا ... على ما اعْتَرَاهُ لاَيُكَرِّمُ ذا يُسْرِ

وَمَا غَيَّرَتْنِي ضَجْرَةٌ عَنْ تَكَرُّمِي ... وَلاَ عَابَ أَضْيَافِي غِنَايَ وَلاَ فَقْرِي

ويشير ابن هرمة إلى أن الإخاء يقتضي سلامة الصدر من الضغائن والأحقاد، فإن صفاء النفس مدعاة للتعاون والتكافل. يقول[٨٠]:

وإنّي وَإِنْ كَانَتْ مِرَاضًا صُدُوْرُكُم ... لِمُلْتَمِسٌ البُقيَا سَلِيمٌ لَكُمْ صَدْرِي

---

[٧٩] ابن هرمة، إبراهيم بن علي بن سلمة: ديوان ابن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبدن النجف الأشرف، مطبعة الآداب، (١٩٦٩م)، ص١٣٠.

[٨٠] المرجع السابق نفسه.

www.mtenback.com

وَإِنّ ابْنَ عَمّ المَـــرْءِ مـــن شَـــدّ أَزْرَهُ وَأَصْبَحَ يَحْمِي عَيْبَهُ وَهُوَ لاَ يَـــدْرِي

ومن شيمهم ألا يتخلّى المرء عن أخيه عند الشدائد مهما بالغ في إيذائه له، بل لا بدّ من مواساته ونسيان ما اقترف في حقه رجاء أن يعود ويصفو مابينهما. وفي هـــذا المعنى يقول محمد بن عبد الله الأزدي[٨١]:

وَلاَ أَدْفَعُ ابْنَ العَمّ يَمْشِي على شَـــفَا وَإِنْ بَلَّغَتني مِـــنْ أَذَاهُ الجَنَـــادِعُ[٨٢]

وَلَكِـــنْ أُواسِـــيْهِ وَأَنْسَـــى ذُنُوبَـــهُ لِتُرْجِعَـــهُ يَوْمًـــا إِلَيَّ الرَّوَاجِـــعُ[٨٣]

وَأُفْرِشُـــهُ مَـــالِي وَأَحْفَـــظُ غَيْبَـــهُ وَأَرْعَاهُ عَيْنًـــا بِـــالّذي هُـــوَ سَـــامِعُ

وَحَسْبُكَ مِنْ جَهْلٍ وَسُـــوْءِ صَنِيْعَـــةٍ مُعَادَاةُ ذِيّ القُرْبَى وَإِنْ قِيْلَ قَـــاطِعُ

فَأَلْبِسْ ثَرَاكَ الأَهْلَ تَسْلَمْ صُدُوْرُهُـــمْ فَلاَبُدّ يَوْمًا أَنْ تَـــرُوْعَ الرَّوَائِـــعُ[٨٤]

ومن شيمهم سدّ حاجة المحتاج وكفالته من غير سؤال، ومن ذلـــك القبيـــل أن عمرو بن عثمان بن عفان أتاه عبد الله بن الزّبيْر الأسديّ فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبًـــا رثّا فدعا وكيله، فقال له: اقترض لنا مالاً. قال: هيهات! مايعطينا التجار شيئًا. فقـــال عمرو: فأربحهم ماشاؤوا. فاقترض له ثمانية آلاف درهم. فوجّه بها إلى عبدالله بن الزبير مع ثياب. فقال عبد الله بن الزبير يمدحه[٨٥]:

سَأَشْكُرُ عَمْرًا إِنْ تراخَـــتْ مَنِيّـــتِي أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَـــنْ وَإِنْ هِـــيَ جَلَّـــتِ

---

[٨١] البحتري: الحماسة، ص٢٤٦.

[٨٢] الشفا: حرف الشيء، أي لا أتم استيحاشه. والجنادع: كناية عن ضروب المكاره وأنواع الأذى.

[٨٣] أواسيه: أجعله أسوة بنفسي أقاسمه مالي وملكي.

[٨٤] البحتري: الحماسة، ص٢٤٦.

[٨٥] الحموي: تجريد الأغاني، القسم الثاني، ج١، ص١٥٧٢.

www.mtenback.com

فَتَى غَيْرَ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيْقِـــهِ وَلا مظْهِرَ الشّكْوَى إِذا النّعْلُ زَلّـــتِ
رَأَى خُلّتي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهـــا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْـــهِ حَتّـــى تَجَلّـــتِ

فلأصالة والتعاون في الطبع العربي، لم ينتظر الجواد أن يُسأل! بـــل حـــاول أن يكفي قاصده إذ أدرك ملامح الحاجة التي تخفى عن الكثيرين.

ومما يؤكد هذه الشيمة عندهم أن المقصود لابد له من سدّ حاجة المحتاج، حتى لو كان هو في حاجة كما هو الحال مع هذين الرجلين.

وقد كرر الشعراء والناس الأبيات التالية وتحدثوا عنها كثيرًا وكأن معناها عـــبر عما في نفوسهم فكثر ترديدها على ألسنتهم[٨٦]:

تَـــرَاهُ إِذَا مَـــا جِئْتَـــــهُ مُتَهَلّـــلاً كَأَنّكَ تُعْطِيْهِ الّـــذي أَنْـــتَ سَـــائِلُهْ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفّـــهِ غَـــيْرُ نَفْسِـــهِ لَجَـــادَ بِهَـــا فَلْيَتّـــقِ اللهَ سَـــــائِلُهْ

وقد كان لخلق التعاون وكفالة المحتاج القدْح المُعَلّى بـــين العـــرب ؛ وكـــانوا يفتخرون بها ومن ذلك قول الهذيل بن مشجعة البولاني[٨٧]:

وَإِنّي وَإِنْ كَانَ ابْـــنُ عَمِـــيّ غَائِبًـــا لَمُقَاذِفٌ مِـــنْ خَلْفِـــهِ وَ وَرَائِـــهِ[٨٨]
وَمُفِيْدُهُ نَصْـــرِي وَإِنْ كَـــانَ امْـــرَءًا مُتَزَحْزِحًا فِي أَرْضِـــهِ وَسَـــمَائِهِ[٨٩]
وَمَتَى أَجِدْهُ فِـــي الشّـــدَائِدِ مُرْمِـــلاً أَلْـــقِ الّـــذي فِي مِـــزْوَدِي بِوِعَائِـــهِ

---

[٨٦] الحموي: تجريد الأغاني، القسم الثاني، ج١، ص ١٥٧٢.

[٨٧] الأصفهاني: الأغاني، ١٦: ٢١٣.

[٨٨] المقاذف: المرامي والمدافع.

[٨٩] المتزحزح: المتنالي والمتباعد.

www.mtenback.com

وإذَا تتبّعَـت الجَلائـــفُ مَالَـــهُ خُلطَتْ صَحيحَتُنَـا إلى جَرْبائِـهِ[٩٠]
وإذَا أتَـى مِـنْ وِجْهَـةٍ بِطَرِيقِـهِ لَـمْ أطّلِـعْ في مَـا وَرَاءَ خبائِـهِ
وإذَا اكْتَسَى ثَوْبًا جَمِيلاً لَـمْ أقُـلْ يَـالَيْتَ أنّ عَلَـيّ فَضْـلُ رِدَائِـهِ
وَإذا غَـدَا يَومًـا لِـيَرْكَبَ مَرْكَبًـا صَعْبًا قَعَدتُ لَهُ عَلَـى سَيْسَـائِهِ[٩١]

فالشاعر يفخر بخلق التعاون ويحدد المجالات التي يكون فيها نافعًا لغيره متعاونًا مع من حوله لا يبخل بماله إن كان العون بالمال، ولا بجاهه إن كانت الحاجة بالجاه وحتى في مشاركة الآخرين صعوبات الحياة ومشقاتها فهو معهم ومستعد بأخذ حقه من العناء والتعب من أجلهم.

وقد كانوا يمتدحون من يتصف بخلق التكافل، ويرفعون من شأنه بينهم، يقول الأخطل[٩٢]:

لا ألْجَأتْنِي قُرَيْشٌ خَائِفًا وجِلاً وَمَوّلَتْنِي قُرَيْشٌ بَعْدَ إقْتَارِ
المُنعِمُونَ بَنُو حَرْبٍ وَقَدْ حَدَقَتْ بِيَ المَنِيةُ واستبطأتُ أنْصَارِيَ

وفي ذات المعنى قالت امرأة من العرب:

كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ أخْرَسَتْ كَرَمًا صَرْفَ الزّمَانِ وأَلْسُنَ العُسْرِ
أَلْبَسْتَنِي نُعْمَى خَلَعْتُ بِهَا عَنّي ثِيَابَ مَذَلّةِ الفَقْرِ
مَاذَا أقُولُ لِمَنْ مَحَاسِنُهُ غَطّتْ عليّ مَسَاوِيَ الدّهْرِ

---

[٩٠] الجلائف: السنة الشديدة.

[٩١] السَّيْسَاء: الحارك، وهو مابين الكاهل والعنق، أي أشاركه ولا أتخلف عنه.

[٩٢] الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت بن طارق: ديوانه، تحقيق: إيليا حاوي، دار الثقافة، بيروت، (١٩٦٨م)، ص٨٣.

www.mtenback.com

فهذا النوع من العطاء والمساعدة التي تأتي دون منّ ولا أذى، ولا حرج للشعور، مع حفظ ماء الوجه، لجدير من يقوم بها أن يمدح، مع أن المدح يؤذيه. وهذا المعنى أشار إليه أبو الأسود الدؤلي بقوله[٩٣]:

وإنّ أَحَقّ النَّاسِ إنْ كُنْتَ شَاكِرًا ... بِشُكْرِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالعُرضُ وَافِرُ

وقال نصيب في المعنى ذاته:

فَعَاجُوا فَأَثْنَوا بِالّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الحَقَائِبُ

وقال أبو تمام يرثي إسحق بن أبي ربعي[٩٤]:

وَنِعْمَةٍ مِنْهُ تَسَرْبَلْتُها ... كَأَنّها طُرّةُ ثُوبٍ قَشِيْبِ

مِن اللَّواتِي إنْ وَنَى شَاكِرٌ ... قَامَتْ لِمُسْدِيْها مَقَامِ الخَطِيْبِ

التعاون إذن في حياة العرب خلق يشمل النواحي المادية والمعنوية، يكون التعاون ببذل المال ويكون التعاون بالجاه ويكون التعاون في كل معاني الحياة وأكرم الناس عندهم من نفعهم وعم فضله فيهم وإن كان غريبًا عنهم أو بعيدًا منهم.

أمثلة من التكافل

عرف العرب ضروبًا شتى من التكافل والتضامن نذكر منها:

أداء الدَّين:

فقد كانوا يعينون المدين في حالة عجزه عن سداد دينه وكان على الكفيل دفع ما على المدين من دين إذا كفله وتعهد للدائن بأدائه إليه في حالة عجز المدين أو نكوصه أو امتناعه عن دفعه ؛ فإن الكفالة عقد وعلى المتعاقدين الوفاء بالعقود. ولهذا

---

[٩٣] أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي: ديوانه، تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، بغداد، (١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، ص١٣٢.

[٩٤] أبو تمام، حبيب بن جاسم بن أوس الطائي: ديوان أبي تمام، ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاويّ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط١، (١٩٨١م)، ص٣٢٠.

www.mtenback.com

كان الكفيل في الجاهلية كالمدين الأصيل في وجوب وفائه بدين المدين. وقد يكون الكفيل جملة أشخاص، أي جملة كفلاء تعهدوا جميعًا بالوفاء عن المدين أو المدينين في حالة كون المدين شركاء أو أسرة واحدة أو ما شابه ذلك، فتكون المسؤولية عامة ويجوز قيام واحد منهم بالوفاء عن الجميع في حالة موافقة جميع المتعاقدين[٩٥]. وقد شاع عند العرب الرفد بكل معانيه التعاونية، فإذا حصل لأحد منهم جائحة احتاجت ماله هب الناس لعونه وتخفيف أزمته واقتطعوا من أموالهم شيئًا له وجمعوا له الثروة حتى يكون مثل واحد منهم في الغنى.

التعاون في فك الأسرى:

ومن صور التكافل عند العرب كذلك، استنقاذ الأسير بكل غالٍ وثمين. فقد كان من شيم الرجال المن على الأسرى بفك رقابهم وإعطائهم حريتهم. فقد أبت مروءة بعض السادات إلاّ أن يقوموا بفك الأسرى وإعتاق رقابهم، ولو بشراء أسراهم بثمن.

وقد ذكرت الأخبار أسماء رجال منهم عاشوا في الجاهلية كانوا يرصدون المال لفك الأسير. ومن هؤلاء سعد بن مشمت المخيّل، وهو من رجال بني (المخيّل) في الجاهلية، وكان قد آلى ألاّ يرى أسيرًا إلا افتكه[٩٦].

وتروي الأخبار أن رجلاً من هوازن وقع في الأسر، فذهب أخوه مستشفعًا فلم يفلح، فذهب إلى عكاظ ينشد شعرًا لعلّه يطلقه فأخفق، ثم ذهب إلى أحد وجوه القوم فقال له: اشتر أخاك وعليّ الثمن ولا يمنعك غلاؤه، ثم أحاله على آخر.. فقال له: فإن وهب لي أخاك شكرته وإلا أغرت عليه حتى يتقيني بأخيك؛ فإن نلتها وإلاّ دفعت إليه كلّ أسير من بني تميم فاشتريت أخاك[٩٧].

---

[٩٥] انظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٥، ص ٦٢١.

[٩٦] المصدر السابق، ج ٤، ص ٥٨٥.

[٩٧] الأصفهاني: الأغاني، ٢٤/١٦.

www.mtenback.com

ومن صور التعاون عند العرب تحمّل بعض الأفـــراد أو الجماعـــات الدّيـــات المستحقة على غيرهم؛ حيث تكلف عصبة القاتل وعشيرته الأقربون بتحمل دية المقتول إعانة للقاتل الذي قد تأتي الدية على كلّ ماله فترهقه.

ويعد حمل الديات من شيم السادة، وقد مدح حسان بن ثابت، حكيم بن حذام بن خويلد فكان مما مدحه به أنه[٩٨]:

وَمُسَـــوِّدٍ يُعطِـــي الجَزِيـــلَ بِكَفِّـــهِ حَمَّـــالِ أَثْقَـــالِ الدِّيَـــاتِ مُتَـــوِّجِ

وممن حمل الدماء ودفع أثمان دياتها ؛ عمرو بن عصم الذي حمل الدماء بين بني سدوس وبني عنزة في الجاهلية[٩٩]. وهرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين تحمـــلا ديات قتلى الحرب التي وقعت بين عبس وذبيان . وقد مدحهما زهير ابن أبي ســـلمى مشيداً بسعيهما في صلح قومهما يقول[١٠٠]:

سَعَى سَاعِيا غَيْظِ بنِ مُـــرّة بعدمـــا تبزّلَ مَا بَيْنَ العَشِـــيْرةِ بـــالدّمِ[١٠١]

فَأَقْسَمْتُ بِالبَيتِ الّذي طَافَ حَوْلَـــهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُـــمِ[١٠٢]

يَمينًـــا لَنِعـــمَ السَّـــيِّدانِ وُجدتُمَـــا عَلى كُلِّ حَالٍ من سَحِيْلٍ ومُبْرَمِ[١٠٣]

---

[٩٨] حسان بن ثابت الأنصاري: ديوانه، ص٥٠.

[٩٩] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ٥٨٥.

[١٠٠] زهير بن أبي سلمى: ديوانه، المكتبة الثقافية، بيروت، ط١، (١٩٦٨م)، ص٢٣.

[١٠١] غيظ بن مرة: حي من غطفان منه هذان الرجلان الساعيان في الصلح بين العشيرة. تبزّل بالدم: تشـــقق به.

[١٠٢] جرهم: قبيلة يمانية كانت تملك سدانة الكعبة قبل قريش، البيت: الكعبة

[١٠٣] السحيل: الخيط أو الحبل يفتل فتلاً واحداً. المبرم: ما يفتل خيطين ثم يفتلان ثانية ويجعـــلان خيطًـــا واحدًا. والمعنى: أقسم يمينًا لنعم السيدان أنتما في حال الرخاء وحال الشدة.

www.mtenback.com

تَدَارَكْتُما عَبْسًا وذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوْا وَدَقّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مِنْشَمِ[104]

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ ندرك السِّلْمَ واسعًا ... بِمَالٍ وَمَعْرُوْفٍ مِن الأَمْرِ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيْدَيْنِ فِيهَا مِن عُقُوْقٍ ومَأثَمِ

عَظِيْمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيْتُمَا ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِن المجدِ يَعْظُمِ

التكافل في الإسلام:

حثّ الإسلام على الجماعة وأمر بلزومها، واتخذ كثيرًا من الوسائل العملية لإنماء الروح الجماعية بين المسلمين في ظروف السلم والحرب ونهى عن الفرقة في نصوص كثيرة.

روى الترمذي بسنده عن عبدالله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليزم الجماعة»[105].

وتعميقًا لوحدة الجماعة شبه الرسول ﷺ المؤمنين بالبنيان يشدّ بعضه بعضًا، حين قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه[106].

والحديث دعوة إلى الوحدة الجماعية بين أفراد المسلمين وفيه بيان للفائدة العظيمة التي تجنيها الجماعة من وحدتها وتماسكها، إنها القوة التي تظفر بها الجماعة، حينما يترابط أفرادها ويشدّ بعضهم أزر بعض، إنهم بذلك يكوّنون شيئًا يشبه البنيان القوي المتماسك.

---

[104] دقوا بينهم عطر منشم: مثل يضرب في شدّة التشاؤم وانتشار الشر بين القوم، وأصله أن امرأة عطارة تعطّر القوم بعطرها وخرجوا للحرب فهلكوا.

[105] الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١ (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٢، ص ٢٣٢ حديث رقم ١٧٥٨.

[106] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب حديث رقم ٢٠٢٦.

www.mtenback.com

وفي التصوير المادي الذي فعله الرسول ﷺ إذ شبك بين أصابعه بعد قوله: «كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا» استخدام للتمثيل الحسّي بعد التشبيه الكلامي، لتجسيد الفكرة المعنوية، ووضعها في مثال حسّي مشاهد، والفكرة المعنوية هنا هي وحدة الجماعة وقوتها وتماسك أفرادها.

وزاد الرسول ﷺ في تعميق معنى وحدة جماعة المسلمين، إذ أبرز أن كتلتهم الواحدة المتماسكة، وبناءهم المتشابك بناء تسري فيه روح واحدة وحسٌّ مشترك، فمثلهم كمثل الجسد الواحد الذي تتعاون جميع أعضائه تعاونًا تامًا، وتتشارك جميع أعضائه في الألم وفي المسرّة.

روى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١٠٧].

ففكرة وحدة الجماعة وتماسك بنائهم قد وضعها الرسول ﷺ في صورة رجل واحد، فالرجل الواحد جسد ذو أعضاء مترابطة يجمعها عصب واحد ويديرها فكر واحد وتحركها عواطف واحدة، وانفعالات واحدة ويغذيها دم واحد، وتسير جميعها إلى غاية واحدة، فإذا نزل الألم بالبعض فقد نزل بالكلّ على سبيل المشاركة، وإذا تمتع البعض بلذة من اللذات، اشترك معه فيها الجميع، بحكم الصلة الوثيقة التي تؤلف وحدة الأحاسيس والمشاعر.

إن الصورة التي شبهت الجماعة بالبنيان الذي يشدّ بعضه بعضًا أعطت معاني القوة القابلة لبناء مجد رفيع وعز منيع. أما الصورة الثانية التي شبهت وحدة الجماعة برجل واحد فقد أدخلت عنصر الحياة في البناء الجماعي للمؤمنين، وعنصر الحياة يلازمه الإحساس بالآلام واللذات وبسائر المشاعر الوجدانية والمشاعر الظاهرة.

---

[١٠٧] مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر، باب ١٧، حديث رقم: ٢٥٨٦.

www.mtenback.com

ومن هاتين الصورتين الحسيّتين نستطيع أن نتصور معاني الوحدة الجماعية التي دعا إليها الإسلام، فهي بناء قابل للارتقاء العظيم، وهي مع ذلك بناء حي ذو أحاسيس ومشاعر ذات آلام وآمال ولذات وأكدار مشتركة وهي تمثل قمة التعاون الذي يتحدث عنه الناس ويحتكمون إليه في نجاحهم ويحبون أن يوصفوا به، وقد نجد اليوم في حياتنا المعاصرة أن التعاون أصبح أساس كل نجاح في جميع مرافق الحياة العامة والخاصة، فإذا لم يتم تعاون الأفراد والجماعات لم يكمل النجاح الذي يريده الناس في كل مشروع من مشاريع الحياة.

التعاون الاجتماعي:

التعاون في محيط الأسرة:

يجد التعاون الاجتماعي تطبيقه الأول داخل الأسرة. وأول هذه التطبيقات تعاون الزوجين في إقامة صرح البيت العائلي من خلال توزيع المسؤولية وفي التراحم والتعاطف بينهما ترسمًا للتوجيه النبوي الكريم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها»[١٠٨].

ويلي ذلك حق الأبناء على الوالدين عناية وتنشئة، يقابله حق الوالدين على الأبناء برًا وإحسانًا، ثم ترابط الأسر وصلة ذوي القربى. فيقوم بناء الأسرة على تعاون وتراحم بين أفرادها ؛ يحرص كل فرد فيها على أداء واجبه والوفاء بالتزاماته، وبهذا تكون الأسرة هي المجتمع الأول الذي يرسي قواعد التكافل الاجتماعي، ويقوى ترابط الأسرة بغيرها من أسر الأقرباء بالحرص على صلة ذوي الأرحام، فتتسع دائرة التكافل، وتكوّن هذه الأسر المترابطة لبنات متينة في كيان المجتمع المتكافل المتعاون.

---

[١٠٨] البخاري: صحيح البخاري، ج١٣، ص١١١، وانظر صحيح مسلم حديث ١٤٥٩.

www.mtenback.com

العلاقة بين الزوجين:

ومن أهم مقومات التعاون الزواج وهو ميثاق غليظ ترتبط به القلوب، ويندمج به كل من الطرفين في صاحبه اتحادًا في الشعور، والتقاء في الرغبات والأمل، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١٠٩]. وقد جعل القرآن للرجل والمرأة حقوقًا متقابلة.

فمن حقوق المرأة على الزوج: المهر الذي جعله الإسلام ركنًا في عقد الزواج، وإن كان المهر ماديًا، إلا أنه مظهر من مظاهر حب الرجل وتقديره للمرأة، قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾[١١٠].

ومن أولى واجبات الزوج حسن معاشرة زوجته، بل احتمال الأذى منها. قال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[١١١].

ويقول رسول الله ﷺ «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[١١٢].

وعلى الزوج الإنفاق على زوجته وكسوتها معتدلاً في غير إسراف ولا تقتير. وقد فضّل رسول الله ﷺ النفقة على الزوجة على ما ينفق في سبيل الله وفك الرقبة والمسكين فقال: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»[١١٣].

---

[١٠٩] سورة الروم: الآية ٢١.

[١١٠] سورة النساء: الآية ٤.

[١١١] سورة النساء: الآية ١٩.

[١١٢] الترمذي: جامع الترمذي، ج٤، ص ١٤٤ حديث رقم ١١٦٣.

[١١٣] مسلم: صحيح مسلم، ج٢، ص ٦٩٢، حديث رقم ٩٩٥.

www.mtenback.com

وقد بنى الإسلام الصلات بين الناس على التعاون النافع حتى في حالة الفراق والانقطاع في العلاقات الخاصة، ففي حالة الطلاق بين الزوجين يكون التعاون مهمًا فيما يترتب على الطرفين من حقوق تجاه الآخر، فالمرأة تستحق حقوقًا مالية إما بشرط العقد أو بنتائجه وعليها أن تتعاون مع الزوج لإتمام هذه الحقوق مثل الرضاعة إن كانت مرضعًا والحضانة بعد ذلك، وعلى الزوج التعاون فيما يخصه من حقوق مثل إتمام النفقة وأتعاب الرضاعة كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[114].

ومن الحقوق التي يرتبها الطلاق للمرأة على الرجل حقها في المتعة. والمتعة هي مال يدفعه المطلق لمطلقته التي فارقها. قال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[115].

وإن كانت الشريعة الإسلامية قد فرضت للزوجة حقوقًا على زوجها ففي المقابل فرضت عليها واجبات.

وأول هذه الواجبات طاعة الزوج، فهو رأس الأسرة بصريح الآية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[116]. وقد بيّن الرسول ﷺ عظم حق الزوج وجزاء طاعته فقال: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»[117]. وقال ﷺ: «لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وذلك من عظم حقه عليها»[118].

---

[114] سورة الطلاق: الآية ٦.

[115] سورة البقرة: الآية ٢٤١.

[116] سورة النساء: الآية ٣٤.

[117] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ج٤، ص١٧٣.

[118] ابن حنبل: المسند، ١٤٦٧/٢.

www.mtenback.com

وعلى المرأة أن ترعى شؤون زوجها وتحفظ سرّه وتصون عرضه؛ يقول ﷺ: «الدنيا متاعٌ وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرّته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه»[١١٩].

ويقوم بناء الأسرة على أساس من التعاون بين الزوجين والإحساس المشترك بالمسؤولية بينهما - فالزوج يعمل ويكدح من أجل الحصول على نفقة زوجته وأولاده، وتتولى الزوجة بدورها رعاية بيتها وزوجها وأولادها والسهر على راحتهم، مما يضفي على الأسرة جوّ السعادة والبهجة والاطمئنان. وباستقرار الأسرة يستقر المجتمع كله وتشيع فيه روح التعاون والتكافل.

التعاون في تربية الأولاد:

يبدأ حق الأولاد على آبائهم قبل وجودهم وذلك ببذل الجهد في حسن اختيار أمهاتهم انطلاقًا من توجيه المصطفى: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دسّاس»[١٢٠].

وتمتد هذه الحقوق لتشمل حسن اختيار الأسماء والقيام بالنفقة في حدود الطاقة.

ويلي واجب الإنفاق على الأولاد الرحمة بهم والإحسان إليهم وحسن تأديبهم وتعليمهم أمور دينهم. يقول ﷺ: «من حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن أدبه»[١٢١]. ولا تتم تربية صالحة للأولاد إلا إذا تم التعاون بين الأم والأب من جهة وبين الوالدين والوسط الذي يعيشون فيه مثل المدرسة والجيران من جهة أخرى فإذا تم تعاون حسن في هذا الوسط كانت التربية نافعة مفيدة مؤثرة في سلوك الأولاد وفي معاملتهم لآبائهم وجيرانهم ومجتمعهم.

---

[١١٩] ابن حنبل: المسند، ٣١١/١.

[١٢٠] سنن ابن ماجة: حديث رقم ١٩٦٨.

[١٢١] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، دار المعارف النظامية، حيدر آباد، (١٣٥٥هـ)، شعب الإيمان، ج٦، ص٤٠١.

www.mtenback.com

وتترتب على حسن التربية وحسن التعامل نتائج مهمة للغاية وهي بر الوالدين والإحسان إليهما عند كبرهما، وعندما يبلغ الأولاد مبلغ التكليف فيصبح هناك تعاون تام في رعاية الأبوين والإحسان إليهما كما أمر الله في كتابه بقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [١٢٣].

فقد جعل الله الوصية بهما بعد الإيمان به بل تعبيراً عن الإيمان به. فعلى الأولاد أن يجتهدوا في بر آبائهم والبر كلمة تشمل كل أنواع المعاملة الكريمة والشعور النبيل. ففي الحديث الذي رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه «سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحبُّ إلى الله قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»[١٢٤].

وقد أوجبت الشريعة على الابن - إن كان غنياً أو قادراً على التكسب - الإنفاق على والديه إذا كانا فقيرين محتاجين. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[١٢٥]. وفي الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وولده من كسبه»[١٢٦].

---

(١٢٢) سورة الإسراء: الآية ٢٣-٢٤.

(١٢٣) سورة النساء: الآية ٣٦.

(١٢٤) صحيح مسلم، ج١ ص٩٠.

(١٢٥) سورة البقرة: الآية ٢١٥.

(١٢٦) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب البيوع، باب: ٧٧، حديث رقم: ٣٥٢٨.

www.mtenback.com

وهذا من أجمل صور التكافل؛ فعندما كان الابن صغيراً لا يقدر على الكسب وجبت نفقته على أبيه، وإذا كبر الابن واشتد ساعده وأصبح قادراً على الكسب يجبر على الإنفاق على والديه إذا كانا محتاجين.

التعاون على صلة الرحم:

الرحم التي تجمل صلتها ويحرم قطعها هي قرابة الرجل والمرأة وإن علوا، والأولاد وإن نزلوا، وما يتصل بالطرفين من الأخوات من بنين وبنات وأعمام وعمّات، وأخوال وخالات. ولقد عنيت الشريعة الإسلامية بصلة الرحم والمحافظة عليها، وصيانتها لما في ذلك من تدعيم بنيان المجتمع وتوطيد أركانه. قال الرسول ﷺ: «خلق الله الخلق فلما فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لكِ»[١٢٧]. ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[١٢٨].

وأخرج مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ. قال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[١٢٩].

---

[١٢٧] صحيح البخاري، ج ٨، ص ٧٥

[١٢٨] سورة محمد: الآية ٢٢-٢٣.

[١٢٩] صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٥، ص ٤١.

www.mtenback.com

ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم بما يلحق آكل الرماد من الألم، و لا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم من قطيعته وإدخالهم الأذى عليه.

وبلغ من عناية الإسلام في الدعوة إلى التواصل والتكافل والتراحم والتعاون مع الأقارب أن أمرت بصلتها ولو كانت كافرة، فلم يمنع الكفر من صلة الرحم، فقد سألت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما رسول الله ﷺ ما ينبغي لها أن تفعل مع أمها فقال عليه الصلاة والسلام: «صِلي أمك»[١٣٠]. فأمرها بصلتها وهي كافرة.

وصلة الأقارب تعني القيام على شؤونهم ورعايتهم والإنفاق عليهم بما يحتاجون إليه. وتفقد أحوالهم وترك التغافل عن تعهدهم في أوقات ضروراتهم ومحبتهم ونصرتهم وبذل النصيحة لهم، وترك ما يضر بهم، والعدل بينهم والإنصاف في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة.

وصفوة القول إن الإسلام جعل المودة أساس العلاقة بين الأقارب، وحرص كل الحرص على ذلك ؛ فعلى القريب أن يصل قريبه بالمودة وإن حاول قريبه أن يقطعها فعليه أن يصلها عملاً بقول النبي ﷺ: «من سرّه أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[١٣١]. واتباعًا لأمره ﷺ بأن يصل المؤمن رحمه عند القطيعة إذ يقول: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها»[١٣٢].

ولا تتم كل هذه الحقوق بين الأقارب إلا إذا اتّصفت علاقتهم بالتعاون والانسجام ودامت الصلة الحسنة بينهم وارتفعت مؤونة التكلف فيصير الجميع لُحْمَةً واحدة.

---

[١٣٠] البخاري: صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٤١٣.

[١٣١] مسلم: صحيح مسلم، ج ٥، ص ٤٢٢.

[١٣٢] البخاري: صحيح البخاري، ج ٨، ص ٧.

www.mtenback.com

التعاون في نطاق المجتمع:

من أهم أسس التعاون الاجتماعي في الإسلام العمل على إيجاد مجتمع فاضل يتجلى فيه الخير والصلاح، تأمر فيه الجماعة بالمعروف وتنهى عن المنكر لحماية المصالح المعتبرة في الشريعة. وأول مظهر لهذا المجتمع وجود رأي عام يتعاون على الخير ودفع الشر[١٣٣].

فالتعاون الاجتماعي يوجب الذود عن الأخلاق والفضائل، ويوجب على الرشيد أن يهدي الضال، وعلى العالم أن يعلّم الجاهل فتكون الجماعة في فضيلة ظاهرة تتعاون على الخير ولا تتعاون على شر قطّ.

وإن الجماعة كلها تكون آثمة إذا رأت الشر يسير رافعًا رأسه وسكتت عنه، وإن الجماعة تكون شريرة إذا كان الشر يسير في طريقه ولا يجد من ينكره. فإن إهمال فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يؤدي إلى فساد الجماعة فحسب، بل إنه الباب المؤدي إلى الانقسام وتفرق الكلمة. وقد قال النبي ﷺ في هذا المعنى: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها. وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا. وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا»[١٣٤].

والمثل النبوي يصوّر التعاون في إيجاد مجتمع فاضل والتكافل الاجتماعي في محاربة الآفات الفكرية والخلقية والاجتماعية، ويبين أن من واجب كل فرد الإسهام في بناء مجتمع فاضل يمنع الشرّ ويدعو إلى الخير. قال الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[١٣٥].

---

[١٣٣] انظر: أبو زهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص ٩.

[١٣٤] رواه البخاري، ج٣، ص ١٢١.

[١٣٥] انظر: مسلم: صحيح مسلم، ج٢ ص ٦٩ حديث رقم ٤٥١.

www.mtenback.com

وتؤكد الشرائع والنظم أن المجتمع الصالح يجب أن يكون بين أفراده كالشخص الواحد في تعاونهم، إسهامًا في السراء والضراء ومشاركة في الحال والمال تتدرج في مراتبها. أولها أن تقوم بحاجة أخيك من الفائض من مالك، وأعلى من ذلك مرتبة أن تنزله منزلة نفسك في قضاء حاجاته عملاً بقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١٣٦]. ثم تأتي المرتبة العليا وهي أن تؤثره على نفسك فتقدم حاجته على حاجتك وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١٣٧].

ومن مظاهر التعاون في الإسلام كفالة اليتيم وإكرامه والعطف عليه. إن اليتامى صنف من الضعاف بين الناس، والضعفاء أحوج الناس إلى التعاضد والتناصر والرحمة.

واليتامى ضعفاء فقدوا ظهيرهم ونصيرهم، وفقدوا راعيهم المزوّد فطريًا بالحنان والعطف عليهم، مع حب غير مشوب بأخلاط الأنانية والمصلحة الخاصة، مع رغبة في التضحية والعطاء والفداء، ومع حرص شديد على إبلاغهم مبلغ الرشد والكمال والنضج والقوة، والدرجات العاليات في كل أمر نافع، وفي كل عمل رافع، وفي كل ارتقاء مجيد.

وإذ يفقد اليتامى الأب الحاني يكونون عرضة للإهمال من جهة ومطمعًا للبغاة من جهة أخرى.

وبين فكّي الإهمال والطمع، يقع اليتامى فريسة ضعيفة تستدرّ رحمة الرحماء وتستجلب حنان ذوي الشفقة والرأفة، فهم في وضعهم الذي هم فيه بؤساء لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

---

[١٣٦] البخاري: صحيح البخاري في باب الإيمان حديث رقم ١٣.

[١٣٧] سورة الحشر: الآية ٩.

www.mtenback.com

من أجل ذلك كله وجبت الرعاية الجماعية لهم من المجتمع المحيط بهم ؛ تعويضًا لهم عمّا فقدوه ؛ فأوصى الإسلام المسلمين برعاية اليتامى وبذل الحنان والعطف لهم، والمبالغة في إكرامهم وحسن تربيتهم وتأديبهم، وأمرت بكفالتهم، وإدارة أموالهم بأمانة تامة، ورعاية حازمة بصيرة، وحذرت من استغلال موقف الضعف الذي هم فيه تحذيرًا شديدًا، تهدّد الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا بالوعيد الشديد، وبالنار التي تكوي ما في البطون.

يقول الله تعالى مخاطبًا رسوله الكريم ﷺ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١٣٨).

فالنص أعظم مواساة ربانية للأيتام، وحسب اليتامى مواساة وفخرًا أن يكون سيد المرسلين قد ولد يتيم الأب، ثم نشأ يتيم الأبوين، ويخاطبه الله بقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ أي فآواك، إذا يسّر لك بدل والديك من يكفلك ويؤدبك ويحنو عليك.

وإذ ذاق الرسول طعم اليتم، وعرف في نشأته مشاعره، وعرف ما يقهر اليتيم وما يواسيه، وعرف مايفرحه ويسره ويجبر كسره ويكون له تعويضًا عما فقد من أبويه، قال الله له: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾.

إن مشاعر اليتم ربما تبلغ من الإفراط في الحساسية أن تقهره الكلمة العابرة التي لا تثير انتباه أي إنسان آخر، ولا تحرك فيه شيئًا، لذلك كان على كافل اليتيم أن يكون دقيق الملاحظة جدًا لما يهز مشاعر الأيتام بالألم، فلا يأتي منها شيئًا، ويوصي أسرته بمثل ذلك.

(١٣٨) سورة الضحى: الآيات ٦-١١.

www.mtenback.com

ولما جاء الإسلام وبسط الله سلطانه رفع شأن اليتامى إلى مقام التكريم من جهة والمحافظة على حقوقهم المالية والشخصية من جهة أخرى، وجعل المجتمع المسلم رقيبًا عامًا على الأولياء، وحارسًا عامًا لحقوق اليتامى.

وفي تطبيق حكيم لقاعدة التعاون الاجتماعي أوجب الإسلام على الأمة ألا تدع اليتيم يواجه الحياة وحيدًا في صغره ويتمه، بل أوجب عليها كفالته ورعايته.

وتشمل كفالة اليتيم الإنفاق عليه يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[١٣٩].

توجيه رباني مباشر لرعاية الأيتام وسائر الضعفاء والإنفاق عليهم والتعاون في إصلاحهم.

ويبين الله تبارك وتعالى وجوه البرّ، فيذكر منها إعطاء اليتيم المال على حبّه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾[١٤٠].

وحث الرسول الكريم صلوات الله عليه على إكرام اليتيم وإطعامه في أقوال كثيرة: «من آوى يتيمًا إلى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبًا لا يُغفر»[١٤١].

---

[١٣٩] سورة البقرة: الآية ٢١٥.

[١٤٠] سورة البقرة: الآية ١٧٧.

[١٤١] التبريزي، ولي الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب: مشكاة المصابيح، حيدر آباد، حديث رقم ٤٩٧٥.

www.mtenback.com

وقد بشر كافل اليتيم بأنه يكون في الجنة، قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم له ولغيره في الجنة هكذا، وأشار الرسول بأصبعيه السبابة والوسطى وفرّج بينهما»[١٤٢].

وفي إشارة الرسول ﷺ بأصبعيه إيماء إلى أن كافل اليتيم يكون مجاوراً له في الجنة كمجاورة أصبع السبابة للأصبع الوسطى، أما التفريج بينهما فقد يكون إيماءً إلى المجاورة بوجه عام مع ملاحظة الفروق في المنزلة.

ومن رعاية الله للأيتام يوصي سبحانه بإعطاء الذين يحضرون قسمة التركة من أولي القربى واليتامى والمساكين شيئًا على سبيل الترضية وجبر الخاطر، إذا لم يكونوا من ذوي الحقوق فيها. وفي تحقيق هذه الوصية ترابط اجتماعي عظيم وتوثيق لوشائج المودة والمحبة بين أعضاء الأسرة وتعميق لخلق الرحمة بالضعفاء في نفوس المسلمين.

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالأيتام أن جعل لهم نصيبًا في خمس الغنائم وفي الفيء. وحصة الأيتام من الغنائم من أصل الخمس الذي لله وللرسول. قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[١٤٣].

وأما الفيء فحصة الأيتام تؤخذ منه كلّه لا من خمسه فقط، قال الله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[١٤٤].

وتشمل كفالة الأيتام المحافظة على أموالهم وحسن إدارتها واستثمارها، كل ذلك في ظل مراقبة الله وتقواه ابتغاء مرضاته واجتنابًا للجزاء الشديد الذي حذرت منه آيات

---

[١٤٢] البخاري: صحيح البخاري، ج٩، ص٤٣٩. له ولغيره: أي سواء كان قريبًا له أو بعيدًا.

[١٤٣] سورة الأنفال: الآية ٤١.

[١٤٤] سورة الحشر: الآية ٧.

www.mtenback.com

الكتاب والسنة المطهرة كل متلاعب بحقوق اليتيم أو مسئ لها. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[١٤٥].

فالنهي في الآية ليس عن أكل مال اليتيم بل عن مجرد القرب منه.

وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٤٦].

فتضمنت هذه الآية نقطة مهمة وهي وجوب المحافظة على أموال اليتامى، فإذا تهيأت وسيلة أخرى هي أنفع لهم وأصلح فإصلاح لهم خير، وإن كان هذا الإصلاح يستدعي خلط أموالهم بأموالكم فهو خير أيضًا. وتنمية أموال اليتامى بالأعمال الاستثمارية من الخير، بشرط أن تكون وجوه الاستثمار مما لا مغامرة فيه، أي: مما اعتاد معظم الناس عدم التخوّف على أموالهم إذا وضعوها فيها للاستثمار.

وحين يبلغ اليتامى مرحلة الرشد يجب تسليمهم أموالهم كاملة غير منقوصة ولا مبدلة، لأنهم قد أصبحوا أولياء أنفسهم وارتفعت عنهم وصاية غيرهم عليهم. قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[١٤٧].

---

[١٤٥] سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

[١٤٦] سورة البقرة: الآية ٢٢٠.

[١٤٧] سورة النساء: الآية ٦.

www.mtenback.com

ثم يأتي التحذير الشديد من العدوان على أموال اليتامى وأكل شيء منها ظلمًا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[148].

ويأمر الله تعالى ولي اليتيم أن يتقي الله فيه حتى لا تبتلى ذريته باليتم وهم ضعاف فيقول سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[149].

وفي هذه النصوص صورة للتعاون المثمر النافع لحماية قطاع من المجتمع وضمان حقوقه واستثارة لحرص الإنسان على أن تعامل ذريته الصغار من بعده بالإحسان والإكرام، مكافأة له على معاملته لليتامى بمثل ذلك. فإذا لم يفعل ذلك فلربما قست قلوب الناس تجاه من قد يصيبهم اليتم من ذريته. أليس هو عرضة - في كل لحظة - لأن تقبض عليه يد المنون ويخلف من ورائه صغاراً له يمسون بفقده يتامى؟ فبماذا يحب أن يعامل الناس أولاده؟ إنه يحب أن يعاملوهم بمثل الإكرام الذي كانوا يتمتعون به في حياته. إذن فليعامل هو يتامى الآخرين بمثل مايحب أن تعامل به ذريته الضعاف من بعده، وإلا فليرتقب المعاقبة بالمثل.

فليتق الذين يتولون أمور اليتامى ربهم، وهذه التقوى تفرض عليهم أن يحافظوا على أموال اليتامى، ويكرموهم، ولا يهينوهم، ويحسنوا تربيتهم وتأديبهم وتعليمهم، ويعاملوهم بمثل مايعاملون به أولادهم. وهذه التقوى تفرض عليهم أن يقولوا قولاً سديداً في كل أمر يتعلق بالأيتام الذين يتولون شؤونهم، ومن القول السديد إرشاد الأيتام إلى فضائل الخصال، ومحاسن الآداب وكريم الأفعال مع حكمة في الأسلوب.

---

[148] سورة النساء: الآية ١٠.

[149] سورة النساء: الآية ٩.

www.mtenback.com

وكفالة اليتيم ورعايته تبرز مثلاً حيًا لولاية المؤمنين بعضهم لبعض، وتطبيقًا لروح التكامل التي هي ثمرة للمحبة والأخوة في الدين.

إكرام الجار:

ومن مظاهر التعاون والتراحم إكرام الجار والإحسان إليه وحفظ حرمته، وقد أوصى الإسلام بهذا وصايا ملحة.

وإذا كان الترابط بين أفراد الأسرة هو اللبنة الأولى للتعاون في المجتمع، فإن رابطة الجوار تنضم إلى هذه اللبنة وتساندها.

للجار على الجار في المفاهيم العربية والآداب الشرعية حقوق تشبه حقوق الأرحام على الأرحام، فللجار حق المواصلة بالزيارة والتهادي، والعيادة والمواساة والمعونة ، وله حق كف الأذى، والمناصرة بالحق، والنصح له، وتهنئته ومشاركته في مسرّاته، وتعزيته ومواساته في مصائبه، وله من الحقوق حق الشفعة، وهو حق الشريك في ملك عقار، إذا أراد شريكه أن يبيع حصته، فهو أحق بشرائها ممن عداه، بالقيمة التي يتم الاتفاق مع الغير على بيعها له.

وقد أمر الإسلام بالإحسان إلى الجار وأوصى به خيرًا وجعل له على جاره حقوقًا، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[١٥٠].

وللجار القريب المسلم: ثلاثة حقوق هي حق القرابة وحق الإسلام، وحق الجوار. وللجار المسلم غير القريب حقان: حق الجوار وحق الإسلام. أما الجار غير

---

[١٥٠] سورة النساء: الآية ٣٦.

www.mtenback.com

المسلم فله حق الجوار. وفي الحديث: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل من يارسول الله؟ قال: الذي لايأمن جاره بوائقه»[١٥١].

وهو بيان مشدّد يتضمن التحذير البالغ من إيذاء الجار حتى كاد يكون إيـــذاء الجار مخرجًا من الإيمان أو علامة على فقد الإيمان ؛ لأن من أوصاف المؤمن أن يكـــون مأمون الجانب، فكيف بالذي لا يأمن جاره شروره وأذاه.

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمـــن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقـــل خـــيرًا أو ليصمت»[١٥٢].

ومن تعميق معاني التعاون بين الجيران التهادي بينهم في المآكل والمشارب وغيرها.

ومن حق الجار على الجار ألا يحقر هديته مهما قلت قيمتها إذ ليس المقصود مـــن التهادي التفاخر والتظاهر، بل المقصود الإشعار بالتذكر، وهـــذان أمـــران ثمينـــان في قيمتهما المعنوية وفي هذا يقول ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولـــو بفرسن شاة»[١٥٣].

ومن التعاون بين الجيران أن يأذن الجار لجاره بأن يستخدم جداره فيحمل عليه خشبة من أخشاب سقفه أو نحو ذلك، للحديث: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشـــبة في جداره»[١٥٤].

ومن الأحاديث التي تشعر بقوة حق الجار على جاره قول النبي ﷺ: «مـــازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[١٥٥].

---

[١٥١] رواه البخاري في كتاب الأدب، حديث رقم ٢٠٢٢.

[١٥٢] المصدر السابق: حديث رقم ٢٠٢٣.

[١٥٣] صحيح مسلم م٣، ص ٩٣، حديث رقم ٥٤٨. فرسن شاة : ظلف شاة.

[١٥٤] رواه البخاري في كتاب المظالم حديث رقم ١١٢٥.

[١٥٥] المصدر السابق، كتاب الأدب، حديث رقم ٦٠١٤.

www.mtenback.com

ويخبرنا عليه الصلاة والسلام أن الجار الصالح من أسباب دفع البلاء عن جيرانه وذلك بقوله: «إن الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء»[١٥٦]، ولا يكون التعاون بين الجيران إلا في مصلحة الناس ومصلحة المجتمع كله.

ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾[١٥٧].

وفي مراعاة وصايا الإسلام لحقوق الجار تنعقد المودات وتتوثق الروابط الاجتماعية بين الناس، وتتأكد ظاهرة من ظواهر التكافل والترابط والتعاون بين أفراد المجتمع.

ومع هذه الوصايا بالجار نلاحظ كثيراً من الناس يؤذون جيرانهم، ولا يؤدون لهم حقوقهم. فكم من مزعجات صوتية يطلقها بعض الجيران غير مراعين حقوق جيرانهم عليهم، وربما يكون ذلك في أوقات الراحة والنوم، كالقيلولة بعد الغداء، ومن الليل حين يغدو الناس مصبحين. وكم من قمامات يرميها بعض الجيران على أبواب جيرانهم أو منازلهم. وكم يستعير بعض الناس المتاع من جيرانهم ثم لا يردونه. وكم ينظر بعض الجيران إلى محارم جيرانهم بفضول قبيح، ونظرات مريبة. وكم من جيران لا أمانة لهم على أموال جيرانهم وأعراضهم.إلى غير ذلك من قبائح ومنكرات.

وكم من رجل فاضل هجر داره ليفارق جاره ويكف عن نفسه وأهله شروره وأذاه.

إن جار السوء من المصائب الكبرى في الحياة الدنيا التي تهدم المجتمعات وتتسبب في تفكك روابطها.

---

[١٥٦] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: ميزان الاعتدال في نقد الرجال،مطبعة السعادة، القاهرة، (١٣٢٥هـ)، ج٤، ص٣٧٩.

[١٥٧] سورة البقرة: الآية ٢٥١.

www.mtenback.com

وضع الجوائح:

الجائحة في الأصل: هي الشدّة التي تجتاح المال[١٥٨]. وفي الحديث الشريف: «أعاذكم الله من جوح الدهر»[١٥٩]. وتطلق الجائحة على الشدة والنازلة العظيمة.

وقد عرفها بعض الفقهاء تعريفًا عامًا قال ابن قدامة: هي كل آفة لا صنع للآدمي فيها[١٦٠]. وقصر الإمام الشافعي الجائحة على مايكون من مصيبة الثمر[١٦١].

ومن الآفات السماوية التي تجتاح الإنسان: النار والريح والثلج والبرد والمطر والجراد والغبار المفسد. ومن أفعال الآدميين تعدّ الحروب من الجوائح التي لا يستطاع دفعها، ولا ضمان فيها على أحد.

ومبدأ وضع الجوائح من المبادئ المقررة في الشريعة الإسلامية حيث يتحقق التعاون الاجتماعي في ظروف معينة، وقد دعا إليه الإسلام ليصبح خلقًا عامًا في المجتمع، يسهم في تحقيق التعاون والتضامن بين الناس في المجالات المادية والمعنوية، إذ يعدّ وضع الجوائح – في الأصل – مساعدة اجتماعية مادية في ظروف خاصة ومع ذلك لايخلو من دلالة على مشاعر المواساة والتراحم بين من أصابته الجائحة وبين المجتمع الذي يعيش فيه.

وقد ورد مبدأ وضع الجوائح صريحًا في السنة النبوية فيما رواه جابر رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ أمر بوضع الجوائح». وقال رسول الله ﷺ: «لو بعت من أخيك ثمرًا فأصابته جائحة، فلا يحلّ أن تأخذ منه شيئًا ثم تأخذ مال أخيك بغير حق»[١٦٢].

---

[١٥٨] الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ٢٧٦ (ج و ح).

[١٥٩] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، دار القاهرة، (١٣٨٥هـ)، ج١، ص٣١٢.

[١٦٠] ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد: المغنى، دار عالم الكتب، الرياض، (١٩٩٩م)، ج٤، ص١١٩.

[١٦١] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن أدريس: الأم، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١، (١٣٢٥هـ)، ج٣، ص٨٥.

[١٦٢] المرجع السابق حدديث رقم ١٧.

www.mtenback.com

وقد يعان من يصاب في ماله كلّه من بيت مال المسلمين وهو طريق للعون ينوب فيه ولي الأمر عن المجتمع في تقديم المساعدة الاجتماعية، وقد أعان النبي ﷺ (قبيصة) بسبب الحمالة التي عجز عن القيام بها وقال له الرسول حين شكا له الصحابي: «أقمْ حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها»[١٦٣]. والصدقة من أموال المسلمين أعان بها النبي ﷺ من أصابته جائحة ذهبت بماله.

وتعدّ هذه الصورة من التعاون ضرورية في الزمن الذي نعيشه فالجوائح التي تصيب الأموال كثيرة كالعواصف الشديدة والزلازل والفيضانات المدمرة، والحروب المهلكة، وهي جوائح تترك الآلاف من البشر أحيانًا لايملكون شيئًا، ولو لم تمتد إليهم أيدي إخوانهم بما يعينهم على مواجهة هذه الكوارث، لامتد الضرر من الجائحة على الأنفس وليس الأموال فحسب، ولذلك فقد أقيمت مؤسسات وهيئات دولية تسارع إلى تقديم المساعدة لأمثال هؤلاء، ويبقى السبق لشرع الإسلام وسنة النبي ﷺ في التعاون على البر والإعانة من الأموال العامة لمن تصيبه كارثة تذهب بماله.

الضمان التعاوني:

ومن صور الضمان التعاوني في الإسلام الزكاة وهي الحصة المقدّرة من المال التي فرضها الله للمستحقين.

ولأهمية الزكاة جعلها الشرع الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة بعد الشهادة والصلاة. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بني الإسلام على خمسٍ شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً»[١٦٤].

أما موارد الزكاة فقد حددها الفقهاء بالمال النامي بالعقل أوبالقوة أو بعبارة أخرى المال الذي يقتنى للنماء. لا الذي يكون لسدّ الحاجة، وتشمل مواردها الثروة

---

[١٦٣] الشافعي: الأم، ج٢، ص ٧٢٢.

[١٦٤] متفق عليه: انظر صحيح البخاري ج١، ص ٨.

www.mtenback.com

الحيوانية والثروة الزراعية والثروة المعدنية، وعروض التجارة أي الأموال المتخذة للاتجار. وقد حدد الشرع لكل قسم نصابًا ومقدارًا واجبًا.

أما مصارفها فحصرت في ثمانية: أولهم الفقراء وثانيهم المساكين وثالثهم العاملون في جمعها وتوزيعها، ورابعهم المؤلفة قلوبهم وخامسهم عتق الرقاب، وسادسهم المدينون الذين لم تسدد ديونهم وسابعهم في الجهاد أي الحرب العادلة، والثامن المنقطع في أرض لا مال له فيها ولو كان في أرضه غنيًا. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١٦٥].

ونرى أن مصارف الزكاة تعم كل نواحي الضعف في المجتمع لسدّ الخلل فيه[١٦٦]. وهي تحقق جانبًا اجتماعيًا بما تشيعه بين أفراد المجتمع الواحد من ترابط، وما تحققه من تكافل وما تقيمه بينهم من وشائج الحب والإيثار والتعاطف المتبادل بين طبقات غنية وأخرى فقيرة.

وتؤكد هذه الروابط والوشائج قيام الدولة على جبايتها وقيامها على توزيعها وتقديمها إلى مستحقيها. قال تعالى آمرًا رسوله الكريم ﷺ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١٦٧].

والزكاة تحقق التكافل الاقتصادي فهي بتعدد مواردها وبالجانب التعبدي فيها، تحقق وفرة الحصيلة. وهي بمصارفها تؤكد أن المحتاج هو الذي يتحقق له التكافل بما

---

[١٦٥] سورة التوبة: الآية ٦٠.

[١٦٦] أبو زهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص٩٣.

[١٦٧] سورة التوبة: الآية ١٠٣.

www.mtenback.com

تحقق له من الكفاية. وهي بالتالي مظهر من مظاهر التعاون الاجتماعي البارز في ثقافتنا الإسلامية.

ومتى شعر الفقير أو المسكين أو الغارم أو ابن السبيل أنه ليس هملاً في مجتمعه وأن مجتمعه يكفل له حاجته. بل عندما يشعر طالب العلم أن كفاية حاجته تكون في مصارف الزكاة، ويشعر طالب الزواج أن كفاية حاجته في مصارف الزكاة بغير منّ من أحد ولا أذى. فأي تكافل اجتماعي يمكن أن يقوم بين أفراد مجتمع هذا سلوك أفراده؟ وحين يحس المحتاج أنه لايتلقى إحسانًا ولا معونة، ولكنه يتلقى حقًا مقررًا له من رب العالمين، هل يمكن أن يتحقق التكافل الاجتماعي بصورة سامية أو متساوية في غير هذا النظام؟

وتحقق الزكاة نوعًا من التعاون السياسي إذ يصير المجتمع كلّه جسدًا واحدًا وكتلة واحدة لا تفكك بين أفراده ولا تصارع بين طبقاته ولا شحناء بين قطاعاته.

وتحقق الزكاة الانتعاش الاقتصادي وذلك من حركة المال وتداوله بين الأغنياء والفقراء، بعد أن كان وقفًا على الأغنياء. وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾[١٦٨].

ومن باب التعاون الاجتماعي، الكفارات والنذور التي تدفع للعاجزين.

والكفارات: عقوبات قدرها الشرع عند ارتكاب أمر فيه مخالفة لأوامر الله تعالى وهذه الكفارات صدقات مالية تدفع للفقراء نذكر منها:

من أفطر في رمضان عاجزًا عن الصيام ولا قدرة له على أدائه في المستقبل بسبب شيخوخة أو مرض مزمن، فإن عليه فدية عن كل يوم يفطره، هي إطعام فقير. قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[١٦٩].

---

[١٦٨] سورة الحشر: الآية ٧.

[١٦٩] سورة البقرة: الآية ١٨٤.

www.mtenback.com

ومنها حلف على أمر يريد أن يفعله ثم حنث في يمينه، و لم يفعله كان عليه إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم. يقول تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾[١٧٠].

ومنها من قتل الصيد في حالة الإحرام فعليه جزاء يماثل ماقتل من النعم وهي الإبل والبقر والغنم ينحر ويتصدق به على مساكين الحرم، فإذا لم يجد المحرم مثل ماقتل من النّعم فيقوّم الصيد المقتول ثم يُشترى به طعام فيصرف لكل مسكين مدّ منه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ﴾[١٧١].

ومنها من تعمد الإفطار في رمضان وهو قادر على الصوم يكون عليه صوم شهرين فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينًا.

ومنها من افترى على نفسه وقال: إنّ زوجته كأمّه في التحريم عليه أن يصوم شهرين متتابعين، فإن لم يستطيع فعليه أن يتصدق بإطعام ستين مسكينًا. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٧٢].

---

(١٧٠) سورة المائدة: الآية ٨٩.

(١٧١) سورة المائدة: الآية ٩٥.

(١٧٢) سورة المجادلة: الآيتان ٣-٤.

www.mtenback.com

ولا شك أن هذه الكفارات المالية مآلها إلى الفقراء الذين ينتفعون منها، وفي ذلك سدّ للخلل الاجتماعي الذي قد يكون بعد جمع الزكاة، أو لعدم علم ولي الأمر بحال أولئك الفقراء، وإن كان الواجب عليه أن يبحث عنهم[١٧٣]. وهدف هذا كله هو التعاون المثمر النافع.

أما النذور فالمراد بها مايلتزمه الشخص من التزامات دينية مالية في المستقبل، كأن يقول: لأتصدقن بكذا من المال إن عاد ابني من السفر، أو إن شفي من مرضه، أو إن رزقني الله تعالى رزقًا حسنًا فإن هذه النذور تكون واجبة الوفاء. وقد امتدح الله تعالى الأبرار الذين يوفون بالنذر. قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[١٧٤].

وقال ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه»[١٧٥].

وقد قرر جمهور الفقهاء أن النذر واجب الوفاء إذا كان من جنسه واجب، والنذر بالصدقات من جنسه واجب وهو الزكاة، فكل نذر وجب عليه الوفاء[١٧٦].

كل هذه المصارف هي معنى من معاني التعاون الذي يجسد حب الخير وعمله للناس والنفس وللآخرة والدنيا.

---

[١٧٣] انظر: أبو زهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص١٢.

[١٧٤] سورة الإنسان: الآية ٧.

[١٧٥] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ٢٨، النذور والطاعة، ج٧، ص٢٢٣.

[١٧٦] أبو زهرة: التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص١٠٠.

www.mtenback.com

التعاون في العصر الحديث

ظهرت في العصر الحديث صور جديدة للتعاون بين أفراد المجتمعات وبين الدول تخدم مصالح أفرادها وتلبي حاجاتهم، وتقوم على روح الزمالة والتضامن بين الأعضاء، وتعتمد على عنصر الخير وعلى صفة العمل المشترك من أجل مصلحة المجموع. ومن أهم هذه الأنماط الجديدة للتعاون:

الجمعيات التعاونية:

يرجع المؤرخون بدايات الشكل المعاصر للحركة التعاونية إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. فقد بدأت في المجال الزراعي حيث سعى المزارعون إلى التحكم في أسعار منتجاتهم الزراعية عن طريق العمل الجماعي، وشكلوا التعاونيات الزراعية لهذا الغرض. ومن أوائل هذه التعاونيات تعاونية للألبان في جوشن الأمريكية عام ١٨١٠م. كما أنشأ المزارعون تعاونيات استهلاكية للشراء الجماعي لاحتياجاتهم الزراعية كالفحم الحجري والبذور[١٧٧].

وفي المملكة المتحدة جمعية روكديل لرواد المساواة وهي أولى الجمعيات التعاونية، حيث أنشئت عام ١٨٤٤م بمقاطعة لانكشاير وقد كانت أهداف التعاونية أن تؤمن لأعضائها مواد غذائية أساسية ذات نوعية جيدة وأسعار معقولة. وقد نجحت جمعية روكديل نجاحًا ملحوظًا، تجاوز دفع عائدات لأعضائها إلى دفع إعانات للنوادي والمكتبات والمؤسسات التربوية التي يستخدمها أعضاؤها[١٧٨].

وقد أدى ارتفاع الأسعار في الستينات والسبعينات من القرن العشرين إلى ظهور مزيد من الجمعيات التعاونية في أنحاء العالم المختلفة. وقد تشكلت في بعض

---

[١٧٧] المنيزع: التعاون، ص٢٠.

[١٧٨] المرجع السابق نفسه.

www.mtenback.com

الدول تعاونيات محلية استهلاكية تهدف إلى تخفيض ما ينفقه أعضاؤها في شراء المواد الغذائية والمستلزمات المنزلية والمساكن والمصنوعات وغيرها من الخدمات.

ويعرف الخبراء الجمعية التعاونية بأنها: مؤسسة شعبية تقوم على تضامن عدد من الأشخاص ذوي الحاجات المتماثلة، تتكون منهم على أساس اختياريّ، وبأسهم يدفعها كل منهم؛ ليتحقق لهم - بوصفهم منتجين أو مستهلكين - معاملات وخدمات يحتاجونها وهم يتعاملون معها، ويديرونها معًا متبعين في ذلك المبادئ التعاونية، وينتفعون بمزاياها ويتحملون خسائرها.

كيف تعمل الجمعيات التعاونية[١٧٩]:

يشترك أعضاء التعاونيات بالتساوي في مراقبة إدارتها. وتتكون الجمعيات عندما يشتري أو يكسب الأعضاء المساهمون أسهمًا فيها. وعن طريق إصدار الأسهم تتوافر الأموال اللازمة لمزاولة نشاط الجمعية. وقد تستخدم الأرباح لتطوير الجمعيات، أو قد توزع على الأعضاء، ويجتمع الأعضاء سنويًا لاختيار أعضاء مجلس إدارة الجمعية من بين الأعضاء. ويعين مدير إدارة الأعمال اليومية في الجمعية.

ويتعاون أعضاء الجمعية على إدارتها وتشغيلها واستثمار رأس مالها، ويعد العمل فيها مكانًا مناسبًا للتعاون والتثقيف في المجالات التعاونية الناجحة، وتدريب المنتسبين إليها على خلق التضحية من أجل مصلحة الجميع.

وقد تنوعت أغراض الجمعيات التعاونية ومسؤولياتها حتى أصبح في كل مجال من مجالات الحياة العامة هناك جمعية أو أكثر من جمعية تهتم بشؤون منسوبيها وترعى حقوقهم وتحافظ على مصالحهم.

---

[١٧٩] الحمش، منير: التعاون، دراسة في النظرية التعاونية، المطبعة الجديدة، دمشق، (١٩٧٦م)، ص٤٢.

www.mtenback.com

أثر الجمعيات التعاونية في حياة أعضائها:

الجمعيات التعاونية هي تنظيمات شعبية تقوم على تضامن الأفراد، وصفة التضامن هذه لازمة عند التفكير في الجمعية، تصاحبها عند تنفيذها وفي مراحل تطورها. وهذا التضامن هو الذي يجعل المشروع يعتمد على الروابط الإنسانية والأخوية بين المتعاونين، فانضمام الأعضاء معًا في جمعية تعاونية وقبولهم لأعضاء غيرهم يتعاونون معهم، وتطلعهم إلى الاتساع في حجم عضوية الجمعية، ظاهرة تقوم على فهم التعاونيين لرسالتهم، و عزوفهم عن احتكار مزايا التعاون لفئة دون أخرى[١٨٠].

كما أن تكوين هذه العضوية بين أفراد لا يتعصبون لجنس ولا لفروق اجتماعية ومادية فيما بينهم، وهو بدوره من المبادئ التي تزيد من تضامن الأعضاء وتوحد صفوفهم، وتضمن لهم تنظيمًا قويًا وغايات مأمونة.

والروابط بين الأعضاء في الجمعيات التعاونية قائمة على أساس أن الفرد للمجموع والمجموع للفرد، أي أن مصلحة الفرد لا تتحقق على حساب المجموع، وإنما بالعمل معه وله. كما أن الروابط بين الجمعيات تقوم على التكامل، فلا تنافس بين قطاعات التعاون، ولا محاولة هناك لطغيان بعض أجزائه على الآخر[١٨١].

وتقوم الجمعية التعاونية لخدمة أعضائها على أساس عدالة التوزيع وشرف التعامل وجودة الصنف. فالجمعية لا تختزن السلع ولا تغش أصنافها، وتقنع بحد معتدل من الربح، فإذا تحقق فإنها تعيده إلى الأعضاء. وليس في المشروعات التعاونية أية ميول للاستغلال فرأس مال الجمعيات يصدر في شكل أسهم اسمية يحصل عليها العضو من الجمعية ويكتتب في أي عدد منها بحدود لا تجعله يطغى على المشروع أو يلتمس من

---

[١٨٠] الإمام، أحمد زكي: التعاون وميادين التنمية الاجتماعية، مكتبة عين شمس، القاهرة، (١٩٦٩م)، ص٢٧.

[١٨١] المرجع السابق نفسه.

www.mtenback.com

وراء هذا الاكتتاب كسبًا يهدده.. وليس لرأس المال في أية جمعية سلطة. كما أن رؤوس الأموال في التعاون ليست متاحة لقطاع دون قطاع.

ومن سمات الأعمال التعاونية أنها تستهدف الوفر وتتجنب الإسراف. ففي نظام التعاون تقاليد تحتم على الجمعيات أن تدير أعمالها على أساس من الادخار في النفقات والمصروفات الإدارية والأجور، وفي الوقت ذاته تحترم الجمعيات قوانين العمل فلا تبخس العمال حقوقهم، كما أنها لا تغرق فئة المديرين ومجلس الإدارة بالمكافآت النقدية والعينية المرتفعة[١٨٢].

ومن مزايا الجمعيات التعاونية أنها تدعو أعضاءها إلى أن يتبعوا في تعاملهم وفي معالجة دخولهم أسلوبًا ادخاريًا، فالجمعيات تحارب الاستدانة في التعاون الاستهلاكي وتعوّد الأعضاء على التوفير، بل لها أن تفرضه إجباريًا بقبول دفعات شهرية منظمة لتكوين مال مدخر للعضو وهي تحاول جاهدة أيضًا أن تهدي أعضاءها إلى أحسن الوسائل لحماية دخولهم وطرق التصرف فيها ليعيشوا بها عيشًا سعيدًا.

ولا تحبس الجمعيات منافعها على أعضائها ولا تعزلهم عن المجتمع، وإنما تنشر مزاياها على الجمهور، وتدعوهم إلى الانضمام إليها والتعامل معها، كما ترعى العاجزين في هذا المجتمع، والمحتاجين والمعوقين بمزايا نقدية وعينية وإعانات، وذلك لأن الجمعيات التعاونية مشروعات تنهض بالمجتمع وتقوم على مفهوم واسع من الرعاية الاجتماعية والتنمية البشرية وتجعل ذلك أساسًا تعتمد عليه في إقامة المجتمع التعاوني للوفرة والعدالة[١٨٣]. ومن مزايا الجمعيات التعاونية أنها تزيد الإنتاج القومي[١٨٤].

---

[١٨٢] الإمام: التعاون، ص٢٧٥.

[١٨٣] المرجع السابق، ص٢٨٢.

[١٨٤] الحربي، أحمد محمد: وظائف الجمعيات التعاونية، الاتحاد العام لهيئات التعاون الأهلي للتطوير، صنعاء، (١٩٨٥م)، ص١٣١.

www.mtenback.com

ويزيد التعاون الإنتاج الوطني في مجال التعاون الاستهلاكي، فالجمعيات الاستهلاكية تزيد في إنتاج مختلف السلع الاستهلاكية بزيادة الطلب عليها وترفع مستوى هذه السلع من حيث الكمية والنوع والجودة. أما الجمعيات التعاونية لبناء المساكن فتضاعف من إنتاج المساكن الحديثة وترفع مستواها من حيث التصميم، وتضيف إليها وحدات ملحقة بها تؤدي خدمات مختلفة على أساس تعاوني.

ويزيد التعاون من الإنتاج الوطني في مجال الصناعات الصغيرة والحرف، إذ تقدم خامات الصناعة ومستلزماتها من ماكينات وما تحتاجه من قروض. وتحسين وسائل الإنتاج بما يقدمه للحرفيين من الإرشادات والتدريب. وتقيم التعاونيات الصناعية مراكز للتسويق فتحقق بذلك إنتاجًا متزايدًا من المصنوعات في ظروف أحسن وبتكاليف أقل، وتنظم تصريف هذه المصنوعات ويزيد دخل العمال منها، بما يدفعهم إلى العناية بإنتاجها والاهتمام بأنواعها ومستوى ذوقها وجودتها.

والجمعيات التعاونية تتكون برؤوس أموال يكتتب فيها أعضاؤها وهذه هي أول خطوة لتجميع أموال وتكوينها بصورة مبسطة ما كانت لتتم لولا التعاون. ثم تدعو الجمعيات أعضاءها إلى إيداع مدخراتهم وودائعهم لديها بدفعات تقبلها الجمعيات باسم أصحابها مهما كانت هذه الدفعات صغيرة. وتدبر الجمعيات الأموال من مصادر الإقراض المختلفة فتحصل عليها بسهولة نتيجة للثقة فيها ثم تستخدم هذه الأموال المقترضة في تمويل عملياتها الإنتاجية لمصلحتهم[١٨٥].

وتكون الجمعيات التعاونية مالاً احتياطيًا من صافي الربح السنوي ولا يظهر هذا الاحتياطي بالضرورة في الجمعية في صورة نقدية فالجمعيات تستثمر هذا الاحتياطي في موجودات في عدد وآلات وأراض ومبان، وكلما زاد الاحتياطي أصبح ضمانًا للدائنين فتزداد قدرة الجمعية على الاقتراض لأعمالها وإنشاءاتها.

---

[١٨٥] الإمام: التعاون، ص١١٦.

www.mtenback.com

والتعاون يرفع مستويات المعيشة، وهو يزيد الإنتاج بوسائل تعاونية ويستطيع بذلك أن يلغي سلسلة من الوسطاء الذين اعتادوا استغلال المنتج والمستهلك على حد سواء. ونتيجة للعمل التعاوني يحصل المزارع والعامل الحرفي وصائد الأسماك وكل من يشتغل في الإنتاج كل في جمعيته، على دخل أكبر فتزداد قدرتهم على الإنفاق الشخصي والحصول على السلع والخدمات التي طالما حرموا منها. وتتجاوب الجمعية مع هذا التغير فتنشئ في مناطق عملها عدداً من المرافق الجديدة مثل الكهرباء ومياه الشرب ووسائل المواصلات ومراكز الثقافة والمكتبات ودور الحضانة فيرتفع المستوى الحضاري عن طريق الأعمال الجماعية التي تنفذها الجمعيات ويزداد المجتمع بحاجيات المأكل والملبس والمسكن من أصناف جيدة ويمكن الأعضاء من أن يعيشوا حياة أحسن[١٨٦].

ويسهم التعاون في خفض أسعار السلع إلى حد اقتصادي يمكن المستهلك من الحصول على حاجاته الغذائية ومستلزماته من المنزل والملابس وغيرها من البضائع الجيدة الصنف والنوع[١٨٧].

وتؤدي الجمعيات التعاونية للتوفير والتسليف خدمات مالية ترفع مستوى معيشة التعاونيين. فهي تجمع منهم المدخرات وتقدّم لهم القروض لشراء المساكن أو للمعالجة أو للإنفاق على المناسبات والطوارئ غير المرتقبة أو لشراء ممتلكات وأمتعة شخصية منزلية، كل ذلك دون أن يرغم المستهلك على الاستدانة المرهقة لدى الشركات البائعة أو بنك الرهونات.

أما جمعيات المساكن فهي ترفع مستوى المعيشة في صور عديدة، فهي توفّر الوحدات السكنية لأعضائها فتنشئ بذلك فئة جديدة من الملاك ممن يستثمرون

---

[١٨٦] الإمام: التعاون، ص١١٢.

[١٨٧] المرجع السابق نفسه.

www.mtenback.com

مدخراتهم في منزل جديد يملكه كل منهم، وتقيم وحدات للإيجار تتناسب مع ظروف الأفراد غير الراغبين في الملكية. وفي الحالين فإنها ترفع مستوى السكن وتقضي على مشكلة استغلال الملاك للمستأجرين وتجمل الضواحي وقلب المدن وترفع المستوى الصحي. وتحقق جمعيات الإسكان مجتمعًا جديدًا نظيفًا على أساس من حسن الجوار، وتمدّ مجموعة المساكن التعاونية بخدمات جماعية ترفع من مستوى معيشة الأعضاء، ومن أمثلتها الأندية الرياضية والمكتبات والحدائق والمطاعم وغيرها من المرافق التي تضمن إقامة سعيدة للأعضاء. وتنظم الجمعيات عمليات تجميع مواقع المساكن وصيانة المباني ووضع شروط للملكية والسكنى وتحظر ازدحام السكان أو سوء استخدام المنازل، كما تستطيع الجمعيات التعاونية لبناء المساكن في المدينة والريف أن تمد مجموعات المباني التعاونية بخدمات علاجية وبسيارات نقل وباتصالات هاتفية منظمة[١٨٨].

ويسهم التعاون في زيادة إيرادات الدولة، فالجمعيات التعاونية المركزية على مختلف أنواعها تستطيع أن تصدر إلى الأسواق الخارجية منتجات زراعية وصناعية ولحومًا وأسماك، فتزيد بذلك تجارة الصادر للدولة وتساعد على توازن ميزان المدفوعات وأن توفّر عملة صعبة.

والتعاون حركة تنمي الاعتماد على النفس وتقوم على تقاليد وترتكز على إثارة الأعضاء ضد عوامل التخلّف ودفعهم دفعًا إلى التخلّص منها بالوسائل السليمة وعلى أساس العمل المشترك والتعاون المتبادل. ثم إن المشروعات التعاونية تقوم على مبدأ ملكية المساهمين الأعضاء لحقوق تقرير مصير مشروعهم ورسم سياساته ومتابعة تنفيذها ويملكون حرية انتخاب مجلس الإدارة من بينهم ويجنبون مشروعهم أي استغلال أو تفرقة في التعامل.

---

[١٨٨] الإمام: التعاون، ص١١٤.

www.mtenback.com

كما أن المشروع التعاوني يقوم على أساس الخدمة وإلغاء الربح ويؤمن بنشر الثقافة المهنية فيرفع بذلك قدرات الأعضاء والعاملين وأعضاء مجلس الإدارة في الجمعية التعاونية الواحدة وفي الحركة التعاونية كلها[١٨٩].

الضمان الاجتماعي:

منذ أن وجد الإنسان على الأرض وهو يسعى إلى الأمن والطمأنينة بمختلف الطرق والوسائل، ولعل نشأة المجتمع الإنساني نفسه جاءت لإشباع حاجاته إلى الأمن من الأخطار الاجتماعية المختلفة وفي مقدمتها الفقر والبطالة والعوز، ثم حاجته إلى الانتماء وما يتولّد عنه من شعور بالراحة النفسية والاطمئنان. ففي الجماعة يشعر الإنسان بالترابط والحماية والتعاون والمساعدة، وكذلك تقدم الجماعة المساعدة اللازمة إذا احتاج إليها في حالات الضعف والهوان، وهذه المساعدة اتخذت أشكالاً وألوانًا متعددة بحسب تعدد الثقافات والمجتمعات والنظم الاجتماعية عبر الحضارات الإنسانية.

ومهما كانت هذه الظروف فالمساعدة التي تقدمها الجماعة لأعضائها توفر الأمن والشعور بالطمأنينة، وهذه المساعدة الاجتماعية مهما اختلفت الفلسفات - هي التي قادت المجتمع الإنساني إلى فكرة الضمان الاجتماعي، الذي لم يظهر بوصفه نظامًا اجتماعيًا شاملاً ومتطورًا دفعة واحدة، وإنّما مرّ عبر مراحل وأشكال وأنظمة مختلفة، إلى أن وصل إلى شكله الحالي المعروف الآن تقريبًا في معظم أنحاء العالم.

بدأ الضمان الاجتماعي - ولا يزال - في كثير من المجتمعات في إطار الأسرة أو العائلة أو القبيلة، فهذه الجماعات ملزمة بتقديم العون والمساعدة في حالة الضرورة والضعف أو المرض، وإنما يتعدى ذلك إلى تقديم المساعدة في الحالات العادية مثل الزواج أو المساعدة في بناء مسكن أو في المناسبات الاجتماعية التي تتطلب مصروفات باهظة.

---

[١٨٩] الإمام: التعاون، ص١١٦.

www.mtenback.com

وهذا النوع من الضمان الأسرى يقوي ويضعف بحسب الأزمنة والثقافات والمجتمعات، ففي العصور التاريخية القديمة يعدّ الضمان الأسري قويًا، لدرجة أن الفرد لا يملك نفسه، وإنما هو ملك أسرته أو قبيلته يعيش ويموت من أجلها. وفي الثقافات التقليدية الزراعية نجدُ الموقف نفسه، فالفرد ملك عشيرته أو قريته، يعيش ويموت من أجلها، إلاّ أن تطور المجتمع الإنساني وانتقاله إلى التحضر والتصنيع خفف من تماسك الضمان الأسري، فأصبح يقف عند حدود الأسرة الصغيرة فقط، وأصبح الضمان الأسري عاطفيًا أو وجدانيًا أكثر منه ماديًا واقتصاديًا، وبطبيعة الحال ليست هذه قاعدة مطلقة، فالضمان الأسري يختلف من مجتمع إلى آخر، فلا يزال المجتمع الشرقي في آسيا وأفريقيا أفضل حالاً من المجتمع الغربي، إذ لا تزال الأسرة في المجتمعات الشرقية تساند أعضاءها ماديًا ومعنويًا، ولا يزال بإمكان الفرد فيها الالتجاء إلى أقاربه وعائلته للمساعدة مهما كانت، وتعدّ في غالب الأحيان إلزامًا اجتماعيًا و أدبيًا.

أما الشكل الثاني للأمن الاجتماعي، فيبدو أنه كان في إطار تنظيم الجماعة، أو المجتمع، وذلك بأن يتجه الفرد إلى رئيس القبيلة أو العشيرة ملتمسًا منه المساعدة أو الحماية المادية والمعنوية. وقد يكون ذلك بمقابل؛ كأن يقدم ولاءه وطاعته لرئيس القبيلة أو يحارب معه أو يدافع عنه، أو يعمل لصالحه في أرضه، وفي هذا السياق أيضًا قد يتجه الفرد إلى أغنياء القبيلة أو الجماعة ملتمسًا منهم المساعدة والعون ولكن مقابل ذلك يدفع الثمن نفسه الذي لاحظناه في حالة رئيس القبيلة.

وفي تاريخ المجتمع الغربي القديم، كانت هذه الأشكال من المساعدة واضحة جلية إلى درجة أن الفرد قد يحمل اسم رئيس القبيلة أو أحد أغنيائها.

وهناك شكل آخر للأمن الاجتماعي، ظهر وتبلور في إطار الطوائف الحرفية التقليدية، فأعضاء المهنة الواحدة أو الحرفة الواحدة يقدم بعضهم لبعض المساعدات

www.mtenback.com

الماديّة والمعنوية وهذا النوع من التعاون معروف في المجتمع الإنساني، وبخاصة في العصور الوسطى الأوروبية و قبيل الثورة الصناعية.

ويضاف إلى ما سبق الأمن الاجتماعي الذي تقدمه المؤسسات الدينية والخيرية، فقد قدمت المساجد والجوامع والزوايا - بما لها من أموال الأوقاف - المساعدات الاجتماعية للمحتاجين والفقراء وطلاب العلم والمعرفة.

وعلى أية حال فإن الأشكال السابقة من الأمن الاجتماعي لم تعد كافية لضمان حياة الإنسان و إشباع حاجته للاطمئنان على نفسه وأفراد أسرته، وهذا يرجع إلى عدد من العوامل الاجتماعية المتشابكة والمعقدة، لعلّ أولها تحوّل المجتمع الإنساني من حياة القرية الزراعية المتماسكة إلى حياة المدينة الصناعية التي يقل فيها التماسك والتضامن الاجتماعي ويضعف، بسبب سرعة الحياة وتعقدها، وتعدد مطالبها، تباعد سكن الأقارب بعضهم عن بعض، وتفشي روح الفردية والاستقلالية الواضحة، وكذلك اختفاء تنظيمات اجتماعية عديدة مثل الطوائف الحرفية، وضعف الروابط القبلية والأسرية واختفائها بشكل كبير من حياة المجتمعات الصناعية المتقدمة في حياتها.

وهناك سبب مهم وهو بروز مفهوم الدولة وما يرتبط بذلك من حقوق وواجبات على مواطنيها، فالضمان الاجتماعي أصبح حقًا من حقوق المواطن في أية دولة من دول العصر الحديث.

وقد ظهر مصطلح الأمن الاجتماعي لأول مرة سنة ١٩٣٥م عندما أصدرت الحكومة الأمريكية تشريعات اجتماعية واقتصادية لمواجهة الأزمة الاقتصادية، وقد تضمن هذا التشريع المتعلق بالأمن الاجتماعي مواجهة البطالة والشيخوخة في قطاع العمال، ثم ذاع مصطلح الأمن الاجتماعي أثناء الحرب العالمية الثانية حيث أصبح جزءًا من نصوص القوانين الوضعية المختلفة [١٩٠].

---

[١٩٠] المرصفاوي، فتحي: التأمينات الاجتماعية والضمان الاجتماعي، المكتبة الوطنية، بنغازي، (١٩٧٤م)، ص٩-١٤.

www.mtenback.com

الأنماط الحديثة للأمن الاجتماعي:

تعاونيات التأمين:

ظهرت هذه الوسيلة في شكل تجمعات تميزت بانفتاحها لتضم الأفراد الراغبين في ذلك بصرف النظر عن مهنة كل منهم أو وظيفته، وتهدف هذه التعاونيات إلى مدّ أعضائها بالمعونة في حالة تعرضهم لأخطار المرض أو الإصابة أو الوفاة. وتعتمد هذه التعاونيات في أموالها على حصص واشتراكات يقدمها الأعضاء، كما قد تستطيع الحصول على مبالغ من بعض الأفراد أو الهيئات على سبيل التبرع أو الصدقة أو الإحسان، كما قد تمد لها الحكومة يد المعونة وتمنحها مبالغ من المال لتتمكن من أداء خدماتها للأعضاء.

ولا شك أن تعاونيات التأمين كانت تعد خطوة جريئة على طرق اهتمام الشخص بضمان أمنه الشخصي في إطار تنظيم جماعي. ولكن هذا النظام لا يمكن الاعتماد عليه بمفرده واتخاذه وسيلة أساسية لتحقيق الأمن الاجتماعي.

والسبب الأول في عدم كفاية تعاونيات التأمين للقيام بدور الوسيلة الفعالة لتحقيق الأمن الاجتماعي يعود إلى طبيعة النظام التعاوني نفسه وإلى الفلسفة التي يستند إليها، فالجمعية التعاونية للتأمين تقوم على فكرة التضامن بين الأعضاء، ومن ثم فإنها لا تتمكن من تقديم الضمان الكافي إلاّ إذا ضمنت العدد الكافي من الأعضاء، إذ كلما زاد العدد، زاد وعاء الجمعية، وزاد الضمان الذي تقدمه لأعضائها. وقد ثبت أن الوصول إلى عدد وفير من الأعضاء صعب التحقيق في كثير من الأحوال إن لم يكن في أغلبها، ويرجع ذلك أساسًا إلى أن غالبية الجمعيات تقوم على أبناء المهنة الواحدة، وأفراد المهنة الواحدة لا يكفي عددهم لتقديم العضوية الضخمة.

ومن ناحية أخرى فإن موارد الجمعية من الاشتراكات أو الحصص غالبًا ما يكون محدودًا ولا يكفي لتأمين كل المخاطر التي يواجهها الأعضاء، وفي غالب الأحيان

www.mtenback.com

لا تسمح دخول الأعضاء البسيطة والمحدودة إلاّ بتقديم اشتراكات بسيطة، ومن ثم فإن هذه الجمعيات لا تستطيع التأمين إلا ضد الأخطار البسيطة والمحدودة بحكم ضيق مواردها.

ومن ناحية ثالثة تعدد المخاطر الاجتماعية بتطور المجتمع الإنساني ذاته، ونتيجة لهذا ظهرت أنواع من المخاطر يتطلب دفعها تحمل مبالغ كبيرة. وذلك كحالات المرض الطويل أو الإصابات التيْ تؤدي إلى عاهة مستديمة وعجز دائم وحالات الشيخوخة، ثم أخيرًا الوفاة، ففي كل هذه الحالات يجب أن تكون الجمعية ذات دخل كبير وذات عضوية كبيرة.

التأمين العاديّ أو التجاريّ:

من أنواع التعاون الجديد التأمين وهو عقد عادي، بمقتضاه يتعهد أحد الأطراف وهو المؤمن بدفع مبلغ محدّد إلى شخص آخر، وذلك متى وقع أمر معين متفق عليه، وذلك نظير أقساط يجمعها المؤمن من الأعضاء ويسدد لهم التعويضات عن الأضرار التي قد تصيبهم والفائض الذي يتبقى لديه يحتفظ به لنفسه، وهو لهذا يحدد قيمة القسط طبقًا لتوقعاته عن مدى تحقق الأخطار المؤمّن عليها، وليضمن لنفسه دائمًا قدرًا معيّنًا من الأرباح.

وتحتاج شركات التأمين إلى إنفاق إداري ضخم وإلى دعاية كبيرة، وهذه النفقات إلى جانب المشروع نفسه يتحملها المؤمنون في النهاية أي تحمل على الأقساط التي يدفعونها.

ويلاحظ عدم كفاية التأمين العادي لتحقيق الأمن الاجتماعي لأن الشركات تسعى إلى الربح وبالتالي يرتفع ثمن أقساط التأمين الأمر الذي يؤدي إلى إحجام الكثيرين – خاصة من ذوي الدخل المحدود – عن التأمين.وما دامت شركات التأمين تسعى أساسًا إلى تحقيق الأرباح فإنها قد تنتقي من بين المخاطر الاجتماعية أبعدها وقوعًا، وأقلها تكلفة، وقد ترفض التأمين ضد المخاطر الأخرى.

www.mtenback.com

التأمين الإجتماعي:

ومن أشكال التأمين، التأمين الاجتماعي وهو نظام يكفل تعويض المؤمن عليه وأسرته عما فقده من كسب في حالة تعرضه لأحد المخاطر التي تؤدي إلى عدم قدرته على العمل وبالتالي الحصول على أجر، وكذلك توفير خدمات العلاج والتأهيل. ويقوم هذا النظام أساسًا على تحصيل اشتراكات محددة لتؤدى عنها المزايا في حالات الطوارئ التي يتعرض لها المؤمّن عليه[١٩١].

والتأمين الاجتماعيّ مشروع تتولاه الدولة، وبالتالي يتمتع بجميع الضمانات التي تكفل له الحماية والبقاء والثبات؛ مما يؤدي إلى ضمان عدم الاستغلال من جهة، وضمان حقوق العمال في التعويض من جهة ثانية، وضمان عدم تحقيق ربح من جهة ثالثة. ثم ضمان حسن تشغيل الأموال التي تتجمع في شكل اشتراكات وبطريقة تحقق الصالح الاقتصادي العام.

أهداف التأمينات الاجتماعية:

وما دام التأمين يعد شكلاً جديدًا من أشكال التعاون وإن كان الهدف منه هو الاتجار والربح إلا أن له عدة أغراض مفيدة منها:

تحرير العامل وأفراد أسرته من الخوف على المستقبل والقلق على مصيره؛ مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج لما يشيعه من روح الاستقرار في نفوس العاملين.

ومنها استقرار علاقات العمل ؛ إذ تقوم التأمينات الاجتماعية وسيطًا بين العامل ومؤسسة العمل وذلك بجمع الاشتراكات المستحقة على مؤسسات الأعمال ثم دفعها للعامل عند توافر شروط استحقاقها مما يساعد على قيام أفضل الروابط الاجتماعية بين الأطراف ذات العلاقة.

---

[١٩١] انظر: مراد، محمد حلمي: التأمينات الاجتماعية في البلاد العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، (١٩٧٢م)، ص١٠.

www.mtenback.com

ومنها تعمل التأمينات على الحفاظ على المجتمع من الفساد والانحلال بما تقدمه من تعويضات للعاطلين عن العمل، ومعاشات للعاجزين والنساء والأطفال الذين فقدوا ولي أمرهم وتبعدهم عن طريق الجريمة والتردي في مهاوي الرذيلة والتشرد والضياع.

ومنها توفير كافة وسائل العلاج للمرضى والمصابين من المؤمن عليهم وتقديم المعونات المالية لهم؛ وهي بذلك تساعد على رفع المستوى الصّحيّ وتقلل من احتمال انتشار الأمراض والأوبئة في المجتمع.

ومنها العمل على تطوير الاقتصاد الوطني وتنميته وذلك عن طريق استثمار احتياطي التأمين في إقامة المشروعات المختلفة مما يتيح الفرصة لتشغيل عدد كبير من المواطنين. والمحافظة على القوى العاملة الفتية وإعادة من يعجز منهم عن أداء عمله إلى ميدان العمل والإنتاج وذلك بعد تأهيلهم مهنيًا.

كما أنها تسهم في تخفيف أعباء الدولة المالية والتزاماتها وذلك بتوفير المعونة لمن هم في حاجة إليها من فئات الشعب وكذلك حماية مؤسسات العمل، خاصة الصغيرة، من التعرض لأزمات مادية نتيجة مطالبتها بتعويضات مستخدميها أو تأدية استحقاقاتهم المقررة في القانون[١٩٢].

اتساع فكرة التأمين الإجتماعي:

من الانتقادات المهمة التي توجه لنظام التأمين الاجتماعي أنه في الغالب – مقصور على العمال دون سواهم، ولا يعني ذلك كل العمال، إنما بعض فئاتهم ؛ فتشريعات التأمين الاجتماعي في الدول المختلفة بدأت مطبقة على بعض الطوائف، وفي بعض المشروعات ذات الأهمية، فكانوا يشترطون حدًّا أدنى من العمال المشتغلين في المشروع حتى يشملهم التأمين الاجتماعي، وكذلك بدأت التشريعات المختلفة في شكل تأمين اختياريّ لمن لا تتوفر فيهم شروط التأمين الاجتماعي الإجباري وظروفه،

---

[١٩٢] انظر: مراد: التأمينات الاجتماعية، ص١٢-١٣.

www.mtenback.com

ثم تطور الأمر حتى أصبح التأمين إجباريًا لجميع العمال بغض النظر عن أهمية النشاط المهني الذي يزاولونه[١٩٣]، ويهدف هذا إلى تحقيق الأمن الاجتماعي في المجتمع الحديث.

ورغم أهمية التأمين الاجتماعي فهناك من يراه مخالفًا للشريعة الإسلامية، وهناك من دافع عنه وأجازه من علماء الشريعة بل إن منهم من خطا خطوات إيجابية في وضع أسس تشريعات التأمين الاجتماعي في بلادهم وجعلوه من الضروريات لكي يطمئن المستخدم أو المنتج إلى مستقبله ومستقبل أسرته، وهذا الاطمئنان يساعد على زيادة إنتاج الفرد[١٩٤].

ومع أن التأمين بات منتشرًا وصدرت تشريعاته المختلفة في بلدان العالم، إلا أن هناك اتجاهًا آخر يحاول أن يستبدل الضمان الاجتماعي بالتأمين الاجتماعي، وهذه المحاولة تعكس فلسفة اجتماعية واقتصادية ذات معنى فالتأمين الاجتماعي يقتصر على فئة أو فئات محدودة من أبناء المجتمع مثل الموظفين أو المنتجين، وكذلك لابد من دفع مقابل في شكل أقساط أو خصم نسبة من الدخل عند منشئه. أما الضمان الاجتماعي فهو أوسع وأشمل وأعم إذ إنه لا يقتصر على فئة أو فئات من أبناء المجتمع بل يشمل بالحماية والرعاية والتعويض جميع أبناء المجتمع دون استثناء ودون مقابل لغير القادرين على دفع أقساط من دخولهم أوليس لهم دخول على الاطلاق. ويزداد هذا الشمول ليغطي الأسوياء وغير الأسوياء صحيًا من الرجال والنساء والأطفال.

---

[١٩٣] المرضفاوي: التأمينات الاجتماعية والضمان الاجتماعي، ص ١٢.

[١٩٤] انظر: غريب الجمال: التأمين الاجتماعي في الشريعة الإسلامية والقانون، دار الفكر العربي، القاهرة، (١٩٧٥م)، ص ٤٦.

www.mtenback.com

الفرق بين الضمان الاجتماعي والتأمين الاجتماعي:

يعكس الضمان الاجتماعي فلسفة اجتماعية تهدف إلى حماية جميع المواطنين ورعايتهم، أي أن هذه الرعاية الاجتماعية هي من المسؤوليات العامة للمجتمع أو الدولة، في حين أن التأمين الاجتماعي يعكس فلسفة اجتماعية تسعى إلى أن يقوم الفرد بحماية نفسه ورعايتها من خلال اشتراكه اختيارًا أو إجبارًا في التأمين الاجتماعي ومثل هذه الفلسفات الاجتماعية للرعاية تقيم أنظمة للمساعدات الاجتماعية للمواطنين وليس هذا في كل الأحوال، وإنما غالبًا في حالات الطوارئ أو الكـ وارث أو في الظروف التي تتطلب ذلك فقط وبشروط اجتماعية وقانونية محددة.

طبيعة الضمان الإجتماعي:

انتشر مصطلح الضمان الاجتماعي في أوائل القرن العشرين الميلادي، ويستخدمه كثير من الناس استخدامًا محددًا ويقصدون به شكلاً واحدًا من الخدمات وهو تأمين الشيخوخة. وفي الواقع يحمل هذا المصطلح إلى جانب ما سبق، حماية الدخل واتخاذ إجراءات متعددة مثل تشريعات الأجور والإسكان والتأمين الاجتماعي[١٩٥].

وكذلك يوفر الضمان الاجتماعي في كثير من الدول مساعدات في المناسبات المختلفة كالزواج أو الوفاة، وكذلك التعليم المجاني ومشاريع الإسكان الاجتماعي[١٩٦].

ويهدف الضمان الاجتماعي – بصفة عامة – إلى ضمان حد أدنى لدخل الفرد يتقي به الفاقة، وإلى تغطيته عند الحاجة وحمايته من مخاطر الحياة ورعايته، وذلك بتأمين دخله الناشيء عن العمل في حالات توقفه عن الكسب بسبب الشيخوخة أو العجز أو المرض أو الإصابة أو البطالة، أو وفاة رب الأسرة. وتأمين قدرة الفرد على العمل

---

[١٩٥] محمود حسن: الخدمات الاجتماعية المقارنة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣٧.

[١٩٦] المصدر السابق نفسه، ص ٤٠.

www.mtenback.com

بطرق الوقاية من الأمراض والحوادث وتقديم الخدمات الطبية والتأهيلية في حـــالات المرض والعجز وإصابات العمل وأمراض المهنة، ومقابلة المسؤوليات المـــتزايدة نتيجـــة زيادة حجم الأسرة، وذلك بتقديم الإعانات الأسريّة. وقد أصبح الضمان الاجتماعي في هذا العصر شعاراً يعبر به عن أمل من أكبر آمال البشرية وفكرة مُسَلَّمٍ بهـــا في جميـــع دول العالم بوصفه نوعًا من التضامن والتعاون الوطني.

ويمكن تحقيق أهداف الضمان الاجتماعي بالأسلوبين التاليين:

الأسلوب الأول: محاولة توفير دخل للأفراد الذين فقدوا دخلهم العادي، سواء لفترة مؤقتة أو بصورة دائمة، كما يهدف إلى حمل عبء بعض النفقات المحتملة بصورة عامة عن كاهل الأفراد والأسر. وهذا ما يعرف اليوم بضمان الدخـــل أو إجـــراءات المحافظة عليه التي تشمل المساعدات العامة أو الإغاثة أو التأمين الاجتماعي الإجبـــاري والمعاشات المقررة لبعض الفئات كالمحاربين القدامى ومعاشات التقاعد وتأمين البطالة.

الأسلوب الثاني: محاولة اتخاذ إجراءات تجعل المجتمع يتحمل بعض النفقات التي تدخل في النسق العادي للاستهلاك، إلا أن أثرها يختلف من أسرة إلى أخرى؛ ولذلـــك تهدف كثير من الدول إلى حماية الأفراد حتى في الظروف العادية من انخفاض مســـتوى معيشتهم نتيجة نفقات العلاج الطبي، وذلك بتطبيق برامج التأمين الصحي أو توفـــير خدمات طبية عامة تماثل توفير التعليم، كما أن جميـــع المجتمعـــات المتقدمـــة تقـــدم مساعدات لجميع الأسر التي ترعى عدداً كثيراً من الأطفال وذلك بغض النظـــر عـــن مستويات الدخل، على أساس أن مستوى معيشة الأسرة ينخفض بزيادة عدد أفرادهـــا وكذلك تعنى بعض الدول بتوفير مساعدات في المناســـبات المختلفـــة كـــالزواج أو الوفاة[١٩٧].

[١٩٧] محمود حسن: الخدمات الاجتماعية المقارنة، ص ٤٠.

www.mtenback.com

بعض المجالات الأساسية للضمان الاجتماعي:

تستخدم كثير من البلدان اليوم مفهوم الضمان الاجتماعي ليعني مباشرة التأمين الاجتماعي لجميع فئات المجتمع العاملة وغير العاملة.

وبِغَضّ النظر عن هذا الاختلاف بين التأمين الاجتماعي والضمان الاجتماعي؛ فقد اتجهت المجتمعات الإنسانية إلى الاعتراف بأن المجالات الأساسية الخمسة التي سنذكرها هي الحقوق الضمانية أو التأمينية الأساسية التي يجب أن يكفلها المجتمع أو الدولة لمواطنيها وهي:

التأمين ضد إصابة العمل:

يغطي التأمين ضد إصابة العمل نوعين من المخاطر التي يتعرض لها المستخدم بسبب أداء عمله وهي حوادث العمل وأمراض المهنة، ويقدم هذا التأمين عادة المزايا الآتية للعامل المؤمن عليه:

أ - الرعاية الطبية اللازمة للعلاج.

ب - صرف معونة مالية للعامل المصاب خلال فترة عجزه عن العمل بسبب الإصابة.

ج - توفير خدمات التأهيل لمن يصابون بعجز مستديم.

د - تقديم الأطراف الصناعية والأجهزة التعويضية عند الحاجة إليها.

هـ - صرف تعويض نقدي دفعة واحدة أو معاش دوري ملائم لمن يصابون بعجز مستديم.

و - صرف تعويض أو معاش لأسرة العامل المؤمن عليه إذا توفي نتيجة إصابة العمل[١٩٨].

---

[١٩٨] مراد: التأمينات الاجتماعية في البلاد العربية ص ٥٠-٥١.

www.mtenback.com

التأمين ضد البطالة:

التأمين ضد البطالة نظام يقضي بدفع مبلغ نقدي للعامل المؤمن عليه تعويضًا له عن جزء من أجره الذي فقد نتيجة انتهاء عمله بسبب خارج عن إرادته، وهو قادر على العمل وراغب فيه إذ إن التأمين ضد البطالة لم يشرع لمساعدة الخاملين أو تشجيع الكسالى.

ويهدف التأمين أو الضمان ضد البطالة بصفة أساسية إلى تخفيض أثر البطالة عن العامل وأسرته بدفع معونة مالية أسبوعية أو شهرية خلال مدة بحثه عن عمل جديد، وعلى ألا تزيد هذه الفترة عن فترة زمنية يحددها التشريع المنظم لهذا التأمين أو الضمان[١٩٩].

تأمين الشيخوخة والعجز والوفاة:

يغطي التأمين كما هو واضح من اسمه ثلاثة مخاطر هي:

الشيخوخة: ويقصد بها بلوغ المؤمن عليه سنًا يفترض أنه يصبح فيها غير قادر على مواصلة العمل.

العجز: ويراد به فقدان القدرة على أداء أي عمل من الأعمال أو المهن دون أن يكون ذلك ناتجًا عن إصابة عمل إذ إن للعجز الناتج عن العمل تأمينًا خاصًا لمواجهته.

الوفاة: ويقصد من ذلك وفاة رب الأسرة، خلاف إصابة العمل، نظرًا لأن الوفاة الناجمة عن إصابات العمل تواجه بالتأمين ضد هذه الإصابات.

ويعد التأمين ضد الشيخوخة والعجز والوفاة بالمعنى المتقدم أهم فروع التأمينات الاجتماعية نظرًا لأن جميع المؤمن عليهم وأسرهم ينتفعون به.

وقد جرت العادة على اشتراك التأمين ضد العجز والوفاة مع التأمين ضد الشيخوخة في تأمين واحد نظرًا لأن المؤمن عليهم لا يكونون قد سددوا باسمهم قدرًا

---

[١٩٩] محمد حلمي مراد: التأمينات الاجتماعية؟، ص ١٠٨-١١٢.

www.mtenback.com

كافيًا من الاشتراكات في حالتي العجز والوفاة المبكرّين تسمح بمقابلة مايحصلون عليه وأسرهم من مزايا تأمينية.

التأمين الصحي:

يواجه التأمين الصحي في العادة طارئين: المرض العادي غير الناشيء عن مزوالة المهنة أو حالات عمل، وظروف الأمومة من حمل ووضع.

ويتضمن هذا التأمين – عادة – تقديم معونة مالية ورعاية طبية في حالة حصول أحد هذين الطارئين، فالمعونة المالية تحول دون تعرض العامل وأسرته للفاقة والحرمان نتيجة عجزه عن العمل بسبب المرض والرعاية الطبية كما تخفف من الآم المرض وأعبائه عن المواطن الذي لا قبل له بتحمله مما يؤثر في الإنتاج وفي تحقيق ما تستهدفه المجتمعات المتحضرة من توفير أسباب السعادة لبنيها من ناحية أخرى[٢٠٠].

كما أن التأمين الصحي يوفر الرعاية الطبية والخدمات العلاجية اللازمة لمختلف فئات العمال التي يسري عليها. كما يشمل الرعاية التأهيلية للمعاقين.

مساعدات الأسر:

ظهرت هذه المساعدات مؤخرًا بخاصة عندما بدأ الاتجاه نحو استخدام مفهوم الضمان الاجتماعي الشامل وتطبيقه في المجتمع الدولي، وغالبًا ماتشمل مساعدات الأسرة المنافع التالية:

١. علاوة الأسرة وهي منحة تدفع لرب الأسرة على كل طفل أو عدد محدود من الأطفال أو تدفع عندما ينخفض مستوى دخل الأسرة وغالبًا ماتحدد بعض الدول حدًا أدنى لدخل الأسرة، فإذا انخفض دخلها عن هذا الحد الأدنى تصبح الأسرة مؤهلة لعلاوة مالية عن كل شهر.

---

[٢٠٠] مراد: التأمينات الاجتماعية، ص ٦٥-٦٦.

www.mtenback.com

٢. المساعدة في حالة الحمل والولادة وهي مساعدة عينية أو نقدية تقدّم للأم الحامل إلى أن تضع حملها وقد تكون هذه المساعدة في صورة السماح بصرف مرتبها بدون عمل طوال فترة حملها ولمدة محدودة بعد الولادة ويدخل ضمن ذلك صرف أدوية أو تلقي علاج مجانًا أو أغذية مجانية بدون مقابل.

٣. مساعدات الطفولة: وهي مساعدات نقدية أو عينية تقدم للأسرة التي ترعى طفلاً أو عددًا كبيرًا من الأطفال بحسب الظروف والأحوال، ويدخل ضمن ذلك توفير دور الحضانة ورياض الأطفال للأمهات العاملات اللاتي يربين أطفالاً.

٤. إعانة اليتيم: ويقصد بها تقديم مساعدة عينية أو نقدية لليتيم الذي فقد أحد والديه أو كليهما ولا يجد من يرعاه أو يقدم له العون المادي والأدبي.

٥. إعانة الوالدين: ويقصد بها تقديم مساعدة عينية أو نقدية للوالدين وخاصة في حالة كبر السن أو العجز أو فقدهما لمن يرعاهما من الأبناء أو الأقارب.

٦. إعانة زواج الأرملة مرة أخرى، والحكمة من إعطاء هذه الإعانة مساعدة الأرملة في بناء حياتها الجديدة من ناحية، ومن ناحية أخرى النظر إلى هذه المنحة أو المساعدة بوصفها نوعًا من التعويض عن المعاش الأساسي الذي كانت تتقاضاه وهي أرملة.

٧. منح الكوارث والطوارئ ويقصد بذلك تقديم مساعدة عينية أو نقدية للأسرة عندما تتعرض لحالات من الطوارئ أو الكوارث. وهذه المنحة لا تقدم للأسرة فقط وإنما تقدم - غالبًا - لكل من تعرض لحالات من الكوارث أو الطوارئ من أبناء المجتمع.

www.mtenback.com

٨. منحة الزواج: وهي منحة مقطوعة لا تسترد أو منحة تسترد على فترات زمنية طويلة وهذه المنحة تساعد الشباب على مواجهة تكاليف الزواج والبدء في تكوين أسرة ويدخل ضمن ذلك المساعدة في الحصول على مسكن أو أثاث .

هذه مجمل صور التعاون الذي استحدثته الأمم والشعوب في العصر الحاضر وهو لا شك يقدم مثالاً للتعاون بمفهومه العام وليس غرض هذا البحث التفصيل في هذه الأنواع والأشكال من القوانين الاجتماعية والدولية لكن الغرض هو عرض الأمر كما هو مطبق في المجتمعات التي أقرته، وجعلته يعوض عن التعاون الطوعي أو الاختياري والفردي. والتعاون هو حاجة إنسانية اختلفت صوره وأشكاله باختلاف الزمان والمكان، واختلاف الحقب واختلاف المجتمعات والبيئات الاجتماعية، واختلاف العادات، لكن ذلك كله متفق على ضرورة معاونة الإنسان لأخيه، وأهمية التعاون في كل صوره وأشكاله وأغراضه، وقد اتسعت دائرته في هذا العصر حين صارت العولمة تتحدث عن معاني أوسع وأشمل للتعاون وتدعو لشيء جديد من التعاون لم يكن معروفًا من قبل.

موقع الدكتور سعيد بن مطلق الزهراني
www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ... الآية﴾	٦٨	٩
	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ...الآية﴾	١٧٧	٥٦
	﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ.. الآية﴾	١٨٤	٦٦
	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ... الآية﴾	٢١٥	٥٠، ٥٦
	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ... الآية﴾	٢٢٠	٥٨
	﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى.... الآية﴾	٢٤١	٤٨
	﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ... الآية﴾	٢٥١	٦٢
	﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ... الآية﴾	٢٨٠	١٦
النساء	﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ.. الآية﴾	٤	٤٧
	﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ... الآية﴾	٦	٥٨
	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا... الآية﴾	١٠	٥٩
	﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ... الآية﴾	١٩	٤٧
	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ... الآية﴾	٣٤	٤٨
المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى.. الآية﴾	٢	٢٣
	﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ... الآية﴾	٨٩	٦٧
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ... الآية﴾	٩٥	٦٧
الأنعام	﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.... الآية﴾	١٥٢	٥٨
الأنفال	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ.... الآية﴾	٤١	٥٧
التوبة	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ... الآية﴾	٦٠	٦٥
	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ... الآية﴾	١٠٣	٦٥
الرعد	﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ... الآية﴾	٢٠	٢٦

www.mtenback.com

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحة
النحل	﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ.... الآية﴾	٦٨	٦
	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ.... الآية﴾	٩١	٢٥
الإسراء	﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ.... الآية﴾	٢٣	٥٠
الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ... الآية﴾	٢١	٤٧
محمد	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي... الآية﴾	٢٢	٥١
المجادلة	﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ... الآية﴾	٣-٤	٦٧
الحشر	﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى... الآية﴾	٧	٥٧، ٦٦
	﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ... الآية﴾	٩	٥٤
الإنسان	﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ... الآية﴾	٧	٦٨
الضحى	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالاًّ... الآية﴾	٦-١١	٥٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«أنا وكافل اليتيم...»	٥٧
«أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض...»	٤٨
«بني الإسلام على خمس...»	٦٤
«تخيروا لنطفكم...»	٤٩
«خلق الله الخلق...»	٥١
«خيركم خيركم لأهله...»	٤٧
«الدنيا متاع....»	٤٩
«دينار أنفقته في سبيل الله...»	٤٧
«الصلاة على وقتها...»	٥٠
«صلي أمك...»	٥٢
«عليكم بالجماعة...»	٤٤
«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول...»	٤٦
«لئن كنت كما قلت...»	٥١
«لو أمرت أحداً أن يسجد...»	٤٨
«ليس الواصل بالمكافئ...»	٥٢
«لا يؤمن أحدكم...»	٥٤
«ما زال جبريل يوصيني بالجار...»	٦١
«المؤمن للمؤمن كالبنيان...»	٣٦
«مثل القائم في حدود الله....»	٥٣
«مثل المؤمنين في توادهم....»	٣٦
«من آوى يتيماً إلى طعامه....»	٥٦

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«من حق الولد على والده....»	٤٩
«من رأى منكم منكراً...»	٥٣
«من سرّه أن يبسط له في رزقه....»	٥٢
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...»	٦١
«والله لا يؤمن والله لا يؤمن...»	٦١
«يا نساء المسلمات...»	٦١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ء ـــ		
واذكروا حلف	الكفلاء	الحارث بن حلزة	٢	٢٩
وإني وإن	ورائه	الهذيل بن مشجعة البولاني	٧	٣٩
		ـــ ب ـــ		
سآخذ منكم	أبِ	–	٣	٣٠
مفاجرا	الحقائبِ	نصيب بن رباح	١	٤١
ألا بلغا	كعبِ	أبو طالب	١١	٣٢
ونعمة منه	قشيبِ	أبو تمام	٢	٤١
		ـــ ت ـــ		
سأشكر عمراً	جلّتِ	عبد الله بن الزبير	٣	٣٨
		ـــ ج ـــ		
ومسوّد يعطي	متوّج	حسان بن ثابت	١	٤٣
		ـــ ح ـــ		
أخاك أخاك	سلاحِ	مسكين الدارمي	٥	١١
اسلمني قومي	فادحَهْ	طرفة بن العبد	٣	٢٠
		ـــ د ـــ		
بل ليت شعري	الغادي	النعمان بن بشير	٣	١٥
إذا سيم	تشدّد	بدر الدين بن علماء	١	٣٥
فكيف لنا	نقدُ	ذو الرمة	٢	٩
كونوا جميعاً	أفرادا	المهلب بن أبي صفرة	٢	١٢

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
نواعم بين	الهوادِي	–	١	٩
		— ر —		
لا أجاتني	إقتارِ	الأخطل	٢	٤٠
كم نعمة	العُسرِ	–	٣	٤٠
وإن الكريم	يُسرِ	ابن هرمة	٤	٣٧
يالقصي	النفرِ	–	٢	١٤
وإنّ أحقّ	وافرِ	أبو الأسود الدؤلي	١	٤١
ولا تطلبن	عشائره	ابن المولى	١	٣٥
		— ع —		
قوم إذا	سافعِ	حميد بن ثور الهلالي	١	١٤
ولا أدفع	الجنادعُ	محمد بن عبد الله الأزدي	٥	٣٨
		— ل —		
تراه إذا	سائلُه	–	٢	٣٩
ألا ليتني	قائلُ	طرفة بن العبد	٧	٢٢
إذا حلّ	صواهلُه	ربيعة بن مقروم	١	٢٩
وأعلمُ	ذليلُ	طرفة بن العبد	١	٣٥
فإذا تجوزها	حبالُها	الأعشى	١	٢٩
		— م —		
نحمي حقيقتنا	الأيتام	عبيد بن الأبرص	١	٣٠
سعى ساعيا	بالدّمِ	زهير بن أبي سلمى	٧	٤٣
وما المرء	بالمعصمِ	–	٢	٩

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فمن مبلغ	مُقسَم	زهير بن أبي سلمى	١	٢٨
ترى كلّ	ظالمِ	الفرزدق	١	١٤
وأبي	الخصومِ	حسان بن ثابت	١	٣١
أرادت عراراً	ظَلَمْ	شأس الأسدي	١	١٣
ـــ ن ـــ				
لا يفطنون	فطنُ	قيس بن عاصم	١	٣٢
قوم إذا	وحدانا	قريط بن أنيف	٢	١٨
أبلغ سراة	اليمنا	طرفة بن العبد	٥	٢٠
إنا لعمرك	لدينا	عبيد بن الأبرص	١	٣٠

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»	١٨
«لا حر بوادي عوف»	٣٣
«من استرعى الذئب ظلم»	١٣

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد:

الكامل في التاريخ، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٠٣هـ

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد:

النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٥هـ.

الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت:

ديوان الأخطل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان:

ديوان أبي الأسود، تحقيق: عبد الكريم الزحيلي، بغداد، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد:

الأغاني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٧م.

الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل:

ديوان الأعشى، تحقيق: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٨م.

الألباني، محمد ناصر الدين:

صحيح سنن الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الألوسي، السيد، محمود شكري:

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار المشرق العربي، بيروت، د.ت.

www.mtenback.com

الإمام، أحمد زكي:

التعاون وميادين التنمية الاجتماعية، مكتبة عين شمس، القاهرة، مصر، ١٩٦٩م.

البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي:

الحماسة، تحقيق: كمال مصطفى، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، ١٩٢٩.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، بحاشية السندي طبعة البابي الحلبي.

البغدادي، عبد القادر بن عمر:

خزانة الأدب، دار صادر، بيروت، د.ت.

البكري، الأندلسي، أبو عبد الله بن عبد العزيز:

معجم مااستعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٧م.

البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي:

السنن الكبرى، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٥٥هـ.

التبريزيّ، ولي الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب:

مشكاة المصابيح، حيدرآباد، د.ت.

الترمذي، أبوعيسى، محمد بن عيسى بن سورة:

جامع الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، القاهرة، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

www.mtenback.com

أبو تمام،حبيب بن أوس الطائي:

- ديوان أبي تمام ضبط معانيه وشروحه: إيليا الحـــاوي، دار الكتـــاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

- الحماسة، تحقيق: عبدالله عبدالرحيم عسيلان، جامعة الإمام محمد بـــن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١هـــ/١٩٨١م.

الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب:

البيان والتبيين، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ط٣، ١٩٣٢م.

جرجي زيدان:

تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، القاهرة، ط١، ١٩٥٨م.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله:

المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

الحربي، أحمد محمد:

وظائف الجمعيات التعاونية، الاتحاد العام لهيئات التعاون الأهلي للتطوير، صنعاء، ١٩٨٥م.

حسان بن ثابت بن منذر الأنصاري:

ديوان حســـان بـــن ثـــابت، دار الكتـــب العلميـــة، بـــيروت، ط١، ١٤٠٦هـــ/١٩٨٦م.

حميد بن ثور الهلالي:

ديوان حميد بن ثور، تحقيق: عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعـــة، القاهرة، ١٩٦٥م.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني:

مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

www.mtenback.com

ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد:

مقدمة ابن خلدون، دار الشعب، القاهرة، د.ت

أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني:

سنن أبي داود، دار الحديث، حمص، سوريا، ط١، ١٣٨٤هـ.

الزبيدي، المرتضى أبو الفيفي محمد بن محمد بن عبد الرازق:

تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ط١، ١٩٦٦م.

الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان:

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

ذو الرمة، غيلان بن عقبة:

ديوان ذي الرمة، شرح: أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٢، (١٤٠٢هـ/١٩٩٢م).

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

أبو زهرة، محمد:

التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.

زهير بن أبي سلمى:

ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، د.ت.

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل:

المخصص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس:

الأم، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١، ١٣٢٥هـ.

www.mtenback.com

شفيق، علي:

مجلس التعاون الخليجي من منظور العلاقات الدولية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

الشنقيطي، أحمد بن الأمين:

شرح المعلقات العشر، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، د.ت.

شهاب، مفيد محمود:

المنظمات الدولية دار النهضة العربية، مصر، ط٥، ١٩٨٥م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:

تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.

ابن عبدربّه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد:

العقد الفريد المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٤٠م.

العمري، أحمد سويلم:

أصول العلاقات السياسية الدولية، ١٩٥٧م.

غالي، بطرس بطرس:

حلف الأطلنطي، سلسلة كتب سياسية، القاهرة، ١٩٧٠م.

غريب الجمال:

التأمين الاجتماعي في الشريعة الإسلامية والقانون دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥م.

الفرزدق، همّام بن غالب بن صعصعة:

ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد يعقوب:

القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

www.mtenback.com

ابن قدامة، موفق الدين، أبو محمد عبد الله بن أحمد:

المغني دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٩م.

القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج:

صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، د.ت.

قطب، سيد:

في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٢٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني:

سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

المباركفوي، صفي الرحمن بن عبدالله بن محمد:

الرحيق المختوم، دار المؤيد للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

مراد، محمد حلمي:

التأمينات الاجتماعية في البلاد العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢م.

المرضفاوي فتحي:

التأمينات الاجتماعية والضمان الاجتماعي، المكتبة الوطنية، بنغازي، ١٩٧٤م.

مجمع اللغة العربية، القاهرة:

المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

محمود حسن:

الخدمات الاجتماعية المقارنة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م.

www.mtenback.com

المفضل الضبّي، أبو العباس، المفضل بن محمد بن يعلى:

المفضليات، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.

الملوحي، عبد المعين:

مجموعة المعاني، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

المنيزع، عبد الحميد نصر:

التعاون، دار المطبوعات الجديدة، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.

الموسوعة العربية العالمية:

مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

الهاشمي، أحمد:

المفرد العلم في رسم القلم، مكتبة نزار، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ابن هرمة، إبراهيم، بن علي بن سلمة:

ديوان ابن هرمة، تحقيق: محمد جبار المعيبد، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٩٦٩م.

ابن هشام البصري، جمال الدين، أبو محمد:

السيرة النبوية، تحقيق: عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com